ملامح النرجسية في شعر المتوكل الليثي

(ت نحو: ٨٥هـ)

إعداد

د/ أسَماء عبد الحكيم راتب عبد الحفيظ

مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

٢٠٢٤م

ملامح النرجسية في شعر المتوكل الليثي

(ت نحو: ٨٥هـ)

أسَماء عبد الحكيم راتب عبد الحفيظ

قسم الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط – جامعة الأزهر – جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني: Asma Abdel Hakim50.adv@azhar.edu.eg

الملخص

برزت النرجسية كظاهرة نفسية عند شعراء وكتّاب كثيرين، وقد عرّفتها الدراسات الحديثة بأنها شعور الفرد بالعظمة ومبالغته في الاعتداد بالذات، والتضخيم المفرط للنفس والآباء والأجداد، ويمكن معرفة الشخص النرجسي من خلال سمات النرجسية التي حددها العلماء النفسيون والتي منها الميل إلى الافتخار بالنفس والأهل، واستعراض الشهرة، والشكوى من كثرة الحساد، والشعور بالقوة والتميز، وقد اهتم البحث بمحاولة إماطة اللثام عن هذه الظاهرة ورصد سماتها في شعر المتوكل الليثي، معتمدة في ذلك على المنهج النفسي القائم على دراسة شعر الشاعر، والربط بين ما فيه من معطيات تدعم وجهة النظر هذه، وبين ملابسات معيشته وظروف حياته والتنقيب في سيرته الذاتيه بهدف الكشف عن عالمه الفكري والنفسي للوقوف على أهم دوافع وأسباب هذه الظاهرة في شعره.

الكلمات المفتاحية: النرجسية، المتوكل، الليثي، الشعر الأموي، ظاهرة.

Features of narcissism in the poetry of Al-Mutawakkil Al-Laithi (d. about: 85 AH)

Dr. Asmaa Abdel Hakim Rateb Abdel Hafeez
literature and criticism at the Islamic Girls College in Assiut- Azhar university-Egypt.
Email: Asma Abdel Hakim50.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

Narcissism has emerged as a psychological phenomenon among many poets and writers. Recent studies have defined it as an individual's sense of greatness, exaggerated self-esteem, and excessive exaggeration of oneself, parents, and grandparents. A narcissistic person can be identified through the characteristics of narcissism identified by psychologists, which include the tendency to be proud of oneself and one's family, and to display fame. And complaining about the abundance of envy, and the feeling of power and distinction. The research was concerned with trying to uncover this phenomenon and monitor its characteristics in the poetry of Al-Mutawakkil Al-Laithi, relying in this on the psychological approach based on studying the poet's poetry, and linking the data in it that support this point of view. And between the circumstances of his life and the circumstances of his life, and exploring his autobiography with the aim of revealing his intellectual and psychological world to find out the most important motives and reasons for this phenomenon in his poetry.

Keywords: narcissism, Al-Mutawakkil, Al-Laithi, Umayyad poetry, phenomenon**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على نبيه الأعظم، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الدراسات الأدبية ذات الطابع السيكولوجي تعد من أهم الدرس النقدي المعاصر، وقد شاع في الآونة الأخيرة هذا النوع من الدراسات، ولاقى قبولا لدى الباحثين والدارسين؛ حيث إنه يهتم بشخصية الشعراء، ويلقى الضوء على آثارهم الشعرية بدراسات تقوم على المنهج النفسي مصحوبا بالدراسات السيكولوجية المتطورة، ومن أهم مكتسبات هذا الاتجاه، إماطة اللثام عن ظاهرة النرجسية، وأثرها عند كثير من الشعراء القدامى والمحدثين، تلك الظاهرة النفسية التي تتمحور حول الأنا وحب الذات؛ فهي الحب الموجه لصورة الذات، وهو ما يسمى بـ(التوثين الذاتي)، وهي عشق الإنسان لذاته دون سواها، ويتولد عن هذا الحب تضخيم الفرد لذاته وتحقير كل ما عداها؛ فهو يرى نفسه الأفضل والأحسن، ويجب على الجميع أن يجعلوه موضع اهتمامهم ومحط أنظارهم، ولأنه معجب بذاته كل الإعجاب ورافض لغيره غاية الرفض؛ فهو يسعى دائما للسيطرة على الآخرين، ومحاولة التفوق عليهم؛ ومن ثم فهو فاقد للرضا، لا يهدأ له بال ولا يستقر على حال.

أهداف البحث:

يعد المتوكل الليثي من الشعراء الذين لم يكن لهم حظ وافر في تناول نتاجهم الشعري في دراسات أدبية، اللهم إلا أطروحة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، للباحث محمد بن عبد العزيز المطرفي عام١٤٢٩-١٤٣٠ هـ، والموسومة " شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية"؛ ومن ثم فلم أجد دراسة منفصلة _ فيما أعلم_ أخذت على عاتقها محاولة الكشف عن ملامح النرجسية في شعره، إلا بعض الإشارات إلى مدى اعتزازه بنفسه وغروره كشاعر متفرد وشعوره الدائم بالتفوق والتميز على غيره، والتي جاءت في ثنايا الدراسة سالفة الذكر، وذات الإشارات أوردها د/ يحيى الجبوري أثناء جمعه لديوان المتوكل الليثي وسيرته من بطون أمهات الكتب.

أحاول في هذا البحث استجلاء خيوط واضحة لظاهرة النرجسية عند المتوكل الليثي، وكشف آثارها في شعره وسلوكه، والكشف عن وجود سمات شخصية فريدة يتميز بها المتوكل الليثي عن غيره، وتوضيح مدى العلاقة بين هذه السمات ونموذج الشخصية النرجسية.

منهج البحث:

لا شك أن فهم شعر المتوكل الليثي ومحاولة سبر أغواره، يتطلب النفاذ من خلال معانيه إلى نفسية صاحبه؛ ومن ثم فقد استعنت بالمنهج النفسي، الذي يهتم باللا شعور، ومدى ظهور أثره في سلوك الشاعر وتعامله مع الآخرين، كما تتبعت سيرة الشاعر وأحداث حياته من خلال المنهج التاريخي، هذا إلى جانب المنهج الفني في تذوق النصوص وتحليلها.

خطة البحث:

جاء البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة، اشتمل التمهيد على محورين، أحدهما يتناول تعريف النرجسية لغة واصطلاحا ونشأتها عند علماء النفس، بينما يدور المطلب الثاني حول الشاعر وسيرة حياته.

ويتناول المبحث الأول أسباب نرجسية المتوكل الليثي، بينما يتناول المبحث الثاني أعراض وتداعيات نرجسيته من خلال استقراء شعره.

وأخيرا:

فأنا لا أدعي لنفسي الفضل في هذه الدراسة، ولا أنزِّه شخصي عن الخطأ والميل عن الصواب، فما كان من ذلك، فحسبي أنِني اجتهدت والكمال لله، والعصمة لأنبيائه، -عليهم جميعا الصلاة والسلام-.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

تمهيد

- **الشاعر (حياته وشعره):**

لقد وردت ترجمة المتوكل الليثي في عدة مصادر، لكنها جاءت مختلفة فيما بينها اختلافا يسيرا في بعض أجزاء نسبه، بزيادة اسم أو حذفه، لكن يمكن تعريف الشاعر كما أورده د/ يحيى الجبوري: "هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر (المعروف بالشداخ) بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، والمتوكل ليثي من ليث بن بكر، كناني من كنانة بن خزيمة، يكنى أبا جَهمة (بفتح الجيم) من أهل الكوفة، عاش في عصر معاوية وابنه يزيد"[١]

وكما اختلفت المصادر في نسب المتوكل، كذلك لم تورد تحديدا دقيقا لسنة ولادته، والمعلومات عن ولادته قليلة؛ فلم يذكر عنه غير أنه عاش في زمن معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد، وقد مدحهما، وأنه من شعراء الإسلام[٢]

وقد جاءت ترجمة المتوكل الليثي في المصادر الأدبية غُفلا من أي إشارة واضحة إلى نشأته الأولى وحياته، أو ظروف معيشته، فلا يمكننا

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٤، ج٨، ١٩٩٧م، ص٦٦٥، الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٢٧٥، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم بن بشر الآمدي، تحقيق ف.كرنكو، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٢٣٦.

(٢) راجع: معجم الشعراء أبو عبيد عبد الله المرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، ط الحلبي، ١٩٦٠م، ص٣٣٩، خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ط بولاق، ١٣٩٩هـ، ٥٦٧/٨، الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د/ إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م، ١١١/١٢.

تحديد أين قضى الشاعر طفولته الأولى على وجه التأكيد، إلا أن بعض المصادر تشير إلى أنه " كان كوفيا"[١]؛ أي أنه ولد في الكوفة ونشأ بها، بينما أشارت مصادر أخرى إلى أنه "ولد خارج الكوفة أي في موطن قبيلته وعاش صباه هناك"[٢] ثم انتقل إلى الكوفة، كما جاء في عبارة المرزباني: "ونزل الكوفة"[٣]

ويعد المتوكل من الشعراء المشهورين في عصره عند الخاصة والعامة، يدلنا على ذلك ما وصفته به بعض المصادر، فقد جاء في الأغاني أنه "شاعر العرب"[٤]، وورد في لباب الألباب وصفه بأنه "شاعر مضر"[٥]

ولشهرة المتوكل وذيوع صيته؛ فقد اتخذ من الشعر سببا للعيش والتكسب؛ فقد مدح كثيرا من الخلفاء والولاة في عصره، مثل معاوية رضي الله عنه، ويزيد بن معاوية، وعبد الله بن أسيد والي الكوفة، وسعيد بن العاص والي المدينة، وعبد العزيز بن مروان. [٦]

وكما أغفلت المصادر كثيرا من جوانب حياته، كذلك كان الشأن في تحديد سنة وفاته، وقد حاولت بعض الدراسات الحديثة تحديد سنة وفاته، فذهب بعضهم إلى أنه توفي " نحو سنة ٦٤هـ في أعقاب خلافة يزيد بن

---

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م، ٢/ ٦٨١.

(٢) شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية، محمد بن عبد العزيز المطرفي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ، ص٢٣.

(٣) معجم الشعراء، ص٣٣٩.

(٤) راجع: الأغاني ١١٦/١٢.

(٥) راجع:لباب الألباب، لأسامة بن منقذ، تحقيق أحمد شاكر، ط دار الجيل، ١٩٩٦م، ص ١٠٨.

(٦) راجع: لباب الألباب ص١٠٨.

معاوية أو بعد ذلك بقليل"[١]، وينقض هذا الرأي ويهدمه قصيدة المتوكل التي أنشدها في مدح حوشبا الشيباني عامل الحجاج على الكوفة عام ٨٣هـ، وقد ذكر فيها الشيب وصدود النساء مما يعني أنه كان كبير السن وقتئذ، والأرجح هو رأي د/ يحيى الجبوري؛ حيث ذكر أنه توفي نحو سنة ٨٥هـ، وذلك لعدم وجود ما يدل على حياته بعد عام ٨٣هـ. [٢]

- **النرجسية المفهوم والمصطلح:**

يرتبط مفهوم النرجسية من حيث الاشتقاق اللغوي بأسطورة نرسيس(ناركيوس) Narcissus اليونانية، ونرجس اسم لشاب جميل هامت به عرائس البحر، لكنه صدهن وانشغل عنهن بالصيد في الغابات، وذات مرة رأى خياله في غدير رائق؛ فعشق خياله، وهام بنفسه، وظل يحملق في صورته على صفحة الماء إلى أن فارق الحياة، ثم نمت مكانه زهرة النرجس، وصار رمزا للنرجسية وحب الذات الذي لا ينطفيء له ظمأ[٣]

أما النرجسية الباثولوجية Pathological Narcissism التي تقوم على تضخيم الفرد لأناه، فتعني"تركُّز كل نزوة الحب في الذات بشكل يمنعها من رؤية ما عداها ويسجنها في حدودها في حالة من الفتنة والإعجاب"[٤]

---

(١) تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، د/عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط٤، أبريل ١٩٨١،ج١، ص٤٠٨.

(٢) راجع:ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، جمع وتحقيق مطابع التعاونية اللبنانية، لبنان(درعون-حريصا)، ١٩٧١م ص١٥، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جعفر بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٦١م، ٢٠٢/٦-٣٨٥.

(٣)على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب، أحمد عتمان، مجلة فصول، الأدب المقارن، العدد٤، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سبتمبر ١٩٨٣م، ص٤٥.

(٤)التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د/ مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٩، ٢٠٠٥م، ص٢٤٣.

ويرجع الفضل في وضع مصطلح النرجسية إلى العلامة الإنجليزي (هافلوك أليس)؛ فقد وصف حب الذات وصفا دقيقا، وأطلق عليه اسم النرجسية إشارة إلى أسطورة نرجس الإغريقية سالفة الذكر(١)، بينما ذهب البعض إلى أن فرويد هو أول من استخدم هذا المصطلح للتعبير عن مفهوم الحب المرضي للذات(٢)

أما نيميا فقد وصف الأفراد ذوي الشخصية النرجسية: "بأنهم يظهرون طموحا عاليا وأهدافا عالية غير واقعية، ولا يتحملون مواقف الفشل ولا يتقبلون عيوب ذواتهم ولديهم رغبة حادة لا تشبع في أن يكونوا موضعا للإعجاب" (٣)

وتعد النرجسية "من الصور الإكلينيكية التي يرسمها الطب النفسي للبارانويا، وتتمثل في مبالغة المريض في تقدير ذاته، والزهو الذي يستتر أحيانا خلف تواضع مصطنع، وأحيانا يتراوح بين الإعجاب بالذات وجنون العظمة، وقد يؤدي حبه للذات هذا إلى الاستعراض العقلي، والمصابون بالنرجسية يتمتعون غالبا بالجمال أو الذكاء أو النجاح في الحياة وهذه هي النواة الأولى لظاهرة النرجسية فيهم "(٤)

---

(١) أنظر: ما فوق مبدأ اللذة، سيجموند فرويد، ترجمة الدكتور إسحاق رمزي، دار المعارف، ط٥، ص١٤.

(٢) راجع: ملامح النرجسية في شعر أبي العلاء المعري في ضوء نظرية أوتو كرينبرغ، د/ محمد حسن أمرائي، فصلية إضاءات نقدية، السنة الحادية عشر، العدد الحادي والأربعون، آذار ٢٠٢١م،.ص٦٦.

(٣)الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، د/ عبد الرقيب أحمد البحيري، دار المعارف، ط١، ١٩٨٧م، ص٣٤.

(٤) ثلاث مقالات في نظرية الجنس، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمود علي، مراجعة مصطفى زيور، ط دار المعارف ١٩٦٣م، ص١٧٤، وأنظر: ملامح النرجسية في شعر أبي العلاء المعري في ضوء نظرية أوتو كرينبرغ ،ص٦٦.

والشخص "النرجسي يميل غالبا نحو إعطاء قيمة عالية لأفعاله، ويطمح إلى المبالغة في مدح الذات بصفات العظمة، وتضخيم المشاكل، والبحث عن المثالية لذاته وآبائه"(١)

"ولكن رغم هذه الأقوال كلها فإن كل الدراسات تنتهي إلى معنى واحد يكمن في الكلمة وهو حب الذات والإعجاب بالنفس" (٢)

وقد قدم العالم النمساوي أوتو كيرنبرغ تعريفا للشخصية النرجسية محددا معالمها من خلال إحدى عشرة صفة أساسية، وهي:

"تفضيل النفس على الآخرين، والمبالغة في الإنجازات والزهو بها، والتضخيم والمبالغة في المصائب، والبحث عن المناقب في آبائهم والفخر بهم، والطموح إلى نجاح يفوق الخيال، وحب الظهور وإثبات الذات، والازدراء بالآخرين واحتقارهم، والتوقع بأن يكون هو الشخص المثالي مع التخلي عن المسؤليات، وإظهار الغضب والاستياء في وجه كل من يأتي بما لا يرضيه، وافتقار الشخص إلى التعاطف وعدم القدرة على إدراك ما يشعر به الآخرون، والاهتمام الزائد والتركيز المفرط على الذات، واستعراض القوة والطموح الزائد، والشعور بالخيلاء متزامنا مع الشعور بالنقص والملل والضيق"(٣)

---

(١) ملامح النرجسية في شعر أبي العلاء المعري في ضوء نظرية أوتو كرينبرغ ، ص٧١.

(٢)المرجع السابق ، ص٦٦.

(٣) ملامح النرجسية في شعر أبي العلاء المعري في ضوء نظرية أوتو كرينبرغ ، ص٧٠_٧١.

المبحث الأول: أسباب نرجسية المتوكل

١- بيئته وعصره

ذكرت المصادر أن المتوكل عاش في عهد معاوية، وأن حياته كانت في الفترة ما بين عامي (٢٥-٨٥هـ) [١]، ومعلوم أن هذا العصر حافل بالثورات والاضطرابات السياسية والاجتماعية؛ فقد "شهدت الكوفة أحداثا جساما كثيرة تضرم نارها الثورات السياسية، والعصبيات القبلية، وإذا ألقينا نظرة على الكوفة في العصر الأموي نجدها تغلي بالأحداث غليانا"[٢]

كانت تلك الفترة تموج بالثورات والقتال والحروب والصراع على كرسي الحكم؛ فقد تقاتل جيش علي ومعاوية، وسفكت الدماء وسقط القتلى، وانتهى الأمر بالتحكيم الذي كان لصالح معاوية، ثم بقتل علي _رضي الله عنه_ غيلة، ثم يولي معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة، ثم يتجمع أنصار علي في الكوفة كما فعل الخوارج، ثم يتولى زياد بن أبيه أمر الكوفة بعد موت المغيرة عام ٥٠هـ.

وهنا تبدأ سياسة القوة والقمع؛ فيثور حجر بن عدي ضد زياد بن أبيه؛ فيقتله زياد مع ستة من أصحابه في الشام؛ فيكون لمقتله صدى كبير في أرجاء الكوفة، وتمور النفوس بالنقمة والغضب، ويشتد أمر الحزب الشيعي ويموت زياد سنة ٥٣هـ.

ثم يتوالى على الكوفة مجموعة من الولاة هم: عبد الله بن خالد بن أسيد، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن الثقفي، ثم النعمان بن بشير الأنصاري الذي مات معاوية في عهده سنة ٦٠هـ.

---

(١) راجع:شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية، ص٢.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص١٠.

بعد موت معاوية تولى يزيد ابنه الخلافة، لكن رقعة الخلاف اتسعت واضطرب الأمر عليه بعد أن أبى الحسين بن علي –رضي الله عنهما– مبايعته، وكذلك عبد الله بن الزبير الذي اعتصم بالبيت الحرام، ثم أرسل أهل الكوفة للحسين يستعجلون قدومه، فأرسل إليهم الحسين مسلم بن عقيل؛ فبايعه للحسين اثنا عشر ألفا من أهل الكوفة، ثم يضم يزيد بن معاوية الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، وهنا شهدت الكوفة عصر العنف والشدة وسفك الدماء، ثم يقتل مسلم بن عقيل ويتفرق أهل الكوفة، ويقدم الحسين على الكوفة فيخذله أهلها ويقتله جيش عبيد الله بكربلاء في العاشر من محرم سنة ٦١هـ، ويكون مقتله فجيعة كبرى لأهل الكوفة ويشعرون أنهم السبب في مقتله.

ثم يتجمع التوابون للحرب بقيادة سليمان بن صرد واتجهوا إلى الشام يريدون أن يثأروا للحسين، ثم تشتعل الحرب بين عبيد الله والتوابين في عين الوردة ويقتل سليمان بن صرد عام ٦٥هـ.

ثم يدعو المختار بن عبيد الثقفي لمحمد بن الحنفية، فيتجمع حوله شيعة الكوفة، فيوجههم لقتال بني أمية بقيادة عبيد الله بن زياد، ويقتل بن زياد عام ٦٦هـ، فتتخلص الكوفة من بطشه، غير أنها تقع في براثن مصعب بن الزبير الذي ولى أمر البصرة لأخيه عبد الله سنة ٦٧هـ، ثم يقود أهل البصرة لقتال المختار في الكوفة؛ فيقتله ويستولي على الحكم فيها.

وسرعان ما زال حكم بن الزبير، وثار أهل الكوفة ضد الحجاج بقيادة الأشعث الذي دعا لنفسه بالخلافة وخلع حكم بني أمية، ويصطدم بالحجاج

في موقعة دير الجماجم، وينتصر الحجاج ويهرب بن الأشعث إلى فارس.[١]

وعلى الرغم من هذه الحياة الحافلة بالمعارك والصراعات والتي عاش فيها المتوكل منذ طفولته وصباه وحتى نهاية حياته، لم تذكر المصادر له أثرا في هذه الحقبة، لا سيما عصر معاوية، ويبدو أنه كان صغيرا في فترة حكم معاوية، وإن كانت المصادر ذكرت أنه مدح معاوية، غير أن هذه القصيدة لا أثر لها، كما ورد أنه مدح بعض الولاة في عصره مثل خالد بن أسيد أمير الكوفة لمعاوية عام ٥٣-٥٤هـ.

وقد مدح يزيد بن معاوية لكنه لم يتعرض لولاته بالمدح ولا غيره، كما أنه شهد عهد الزبير ولا أثر للزبيرية في شعره، وقد هجا مختار الثقفي ومن كان معه، وأظهر عواطفه نحو الحسين وأنه كان ضحية قعود هؤلاء عن نصرته.

وفي عهد عبد الملك بن مروان نراه يعاتب بشر بن مروان وكان أمير الكوفة في عهده، ومن الغريب أن لا يرد ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي في شعره ولا حتى بالتلميح والإشارة، رغم أنه ربض على صدر العراق نحو عشرين عاما، وقد كان الشعراء في عهده يمدحونه طمعا فيه أو اتقاء لشره، وقد مدح في عهد ولايته حوشبا الشيباني أمير الكوفة وصاغ له جميل الثناء.[٢]

هذه هي البيئة السياسة التي عاش فيها المتوكل، لقد عاصر اضطرابا سياسيا واجتماعيا، وصراعات على الحكم، وكثيرا من الدسائس والمكائد والقلاقل والفتن؛ فلا شك أن شخصيته قد تكونت متأثرة بنظام ونمط البيئة

---

(١) راجع: تاريخ الطبري، ٦/٣٤٦.
(٢)راجع: ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص١٣-١٤.

المحيطة به، وهنا يمكننا القول"إن الطفل يجد نفسه مدفوعا إلى النمو والتطور طبقا لنمط الحضارة السائد في عصره" [١]

فإذا كانت البيئة تموج بالثورات والاضطرابات والحروب، فلا مفر أن يؤثر ذلك على المجتمع، وينعكس بشكل أو بآخر على تصرفات وتوجهات الشعراء فيه "وقد أكد الدكتور طه حسين مدى تأثير البيئة في تكوين شخصية الشاعر حين تحدث عن الحياة العراقية في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع". [٢]

ومهما يكن من شيء، فإن البيئة السياسية التي عاش فيها الشاعر طبعت نفسه بطابع الاضطراب والتناقض وعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي، لأنها كانت غاية في الاضطراب والتناقض.

٢- وضاعة نسبه:

كانت طفولة المتوكل مجهولة، فلم تذكر المصادر شيئا ذا بال عن حياته الخاصة أو عن أبيه وأمه، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن أسرته لم تكن من الأسر المشهورة أو التي لها شأن في مجتمعه في ذلك الوقت، "والظاهر أن المتوكل لم يكن من أسرة ذات شأن وخطر؛ فلم يكن أبوه من وجوه الكوفة أو قوادها أو أمرائها، ولم يبرز من أسرته من يفخر به، ويزجي إليه جياد قصائده"[٣].

ويرجع الدكتور يحيى الجبوري السبب وراء مبالغة المتوكل في مدح أولي الأمر دون مدح أهله والفخر بهم؛ إلى كونه من أسرة مغمورة، يقول:

---

(١)الطبيعة البشرية، ألفريد آدلر، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٦٩.

(٢) مع المتنبي، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، ١٩٨٦، ص٣٢.

(٣) ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص١٦.

"ولهذا السبب أيضا، كون أسرته من الأسر المغمورة، صار يمدح أولي الأمر وأصحاب السلطان في الكوفة من القبائل الأخرى غير الليثيين أو الكنانيين، فهو يمدح حوشبا الشيباني، وعكرمة بن ربعي، وبني شيبان، وتيم الله، وأمراء بني أمية، وإذا فخر بقومه، فإنه يفخر بقومه الأبعدين، من بني الشداخ وبني كنانة، وهكذا هو أمر الشعراء الذين لا يجدون في أسرتهم من يباهون بهم؛ فهم يؤكدون على أنسابهم البعيدة، ويفخرون برجال من قبائل أخرى، وشأن المتوكل في ذلك شأن جرير في فخره، وليس شأن الفرزدق الذي يؤكد عز بيته القريب والفخر بآبائه الأقربين". (١)

وقد دلت الأبحاث والدراسات أن النرجسيين يسعون دائما إلى تأكيد الذات وجذب انتباه الآخرين؛ من خلال الإلحاح في الفخر بالنفس ومدحها، في محاولة يائسة للتستر على شعور عميق بالنقص، المكتسب حتما من خمول ذكر القبيلة ووضاعة نسبها؛ "ولذلك نجد المتوكل يفخر بنفسه ويلح على هذا الفخر، ويذكر في شعره أن آباءه كرام ذوو مجد وحسب"(٢)

وعلى عكس ما يتوقع البعض أن النرجسي يتصف بالتعالي والاعتزاز بالنفس جراء الشعور بالعظمة والتفرد والتميز، بل إنه يحاول إظهار ذلك لأنه يشعر بالعار ولديه تقدير متدن للذات، ويحتاج دائما إلى تأكيد ذاته وإثبات أهميته "وقد أشار كرينبرج أن أخاييل العظمة توجد جنبا إلى جنب مع الشعور بالنقص في الشخصية النرجسية" (٣)

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص١٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦.
(٣)الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٧.

إن عدم الشعور بالرضا عن النفس أو عن الأهل يعد من أهم الأسباب التي تدفع الشاعر دفعا إلى المفاخرة بنفسه وفنه ليصرف نظر الناس عن موطن العلة في نفسه وهو شعوره بالعار والانهزام الداخلي من جراء خمول الذكر وغياب الشهرة والحسب، وهذا ما أكده د/ يحيى الجبوري في غير موضع، يقول: "وفي أكبر الظن أن المتوكل كان يعوض هذا الجانب بالانصراف إلى تجويد شعره، والاعتزاز بفنه؛ كي يقوم هذا الشعر مقام الحسب التليد أو المجد الطريف، وقد بلغ اعتزازه بفنه أن صار يفاخر به ويتحدى شاعرا كبيرا هو الأخطل شاعر البلاط الأموي زمن عبد الملك بن مروان"[١]

يقول المتوكل مفتخرا بشعره عبر أثير بحر الوافر[٢]:

قَهرتُ الشِّعرَ قد علمتْ معدٌّ فَلا سَقْطًا أقولُ ولا انْتِحَالًا

والمتوكل لا يرى نفسه قاهرا للشعر، مترفعا عن الانتحال والسقط فقط، بل يرى قصائده منبع الفخر وأفق الاعتزاز، وعزه ومنعته قد فاقا الجبال علوا ومهابة، يقول على أنغام الكامل[٣]:

وقَصَائدِي فخرٌ وعِزِي قاهرٌ مُتَمنِّعٌ يعلُو الجبالَ جَسِيمُ

وهكذا، فإن الشعور بالنقص بسبب وضاعة النسب يعد من دوافع الشاعر إلى التعالي والغرور وتضخم الذات، والتي تعد بدورها من أهم سمات الشخصية النرجسية.

---

(١) ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص١٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٨.

٣- فقره:

وكما أن خمول الذكر والشعور بالضعة من مسببات عقد النقص عند بعض الناس خاصة الشعراء منهم لفرط حساسيتهم، كذلك الفقر فإنه مدعاة إلى الشعور بالنقص والعجز، "وقد قرر آدلر أن الشعور بالضعة أو العجز سبب جميع العلل العصبية والأمراض العقلية، والتخلص من هذا الشعور يتم بأحد أمرين: أحدهما: إدعاء الرفعة والتظاهر بالعظمة، وثانيهما: محاولة القيام بعمل يرفع قدر المرء في أعين الناس؛ تعويضا عما يشعر به من نقص في قرارة نفسه"(١).

وقد كانت حياة المتوكل الليثي غامضة في جميع مناحيها، ولا يمكن تحديد حالته الاقتصادية إلا من خلال استقراء شعره، أو القليل النادر الذي ورد في سيرته، وقد ورد في شعره ما يدل دلالة واضحة على فقره وعوزه، بل أنه كان يُعيَّر بالفقر، ويستميت في محاولة إثبات عزه وكرمه وعراقة أصله، يقولممتطيا صهوة بحر الكامل(٢):

ومُعيّرِي بالفقرِ قلتُ له اقتصدْ إنّي أمامَك في الزمانِ قديمُ

قد يُكثِرُ النَّكسُ المقصرِ همَّهُ ويقِلُ مالُ المرءِ وهو كريمُ

وفي موضع آخر يطلب من محبوبته أن تغض الطرف عن فقره معللا بأن الحسب يغني عن المال، ويجب عليها أن لا تهتم بالسؤال عن ماله اكتفاء بسيرته المحمودة، وحسبه ونسبه وفروسيته وكرمه، يقول عبر ترانيم بحر البسيط(٣):

---

(١) راجع: دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢٥، بتصرف.

(٢) ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص٨٢.

(٣) ديوان المتوكل الليثي، ص٢١٨.

أمُّ الصبيينِ دُومِي إنَّنِي رجلٌ حَبْلِي لأهلِ النَّدى والوصْلِ ممدودُ
لا تَسْألِي القومَ عنْ مالِي وكثْرَتِهِ وقدْ يَقْتُرُ المرءُ يومًا وهو محمودُ
وسائِلِي عندَ جَد الأمرِ ما حسبي إذِ الكماةُ التَّقَى فرسانُها الصِيدُ

لقد كان لشدة فقره يسعى إلى تحصيل المال بكل الطرق، فجعل شعره سببا من أسباب العيش؛ ليرتقي به نحو الغنى والجاه، والتكسب بالشعر لم يكن حكرا على المتوكل وحده، بل كان ديدن الشعراء في عصره، لكنه لفرط حرصه على المال كان ينقلب من المدح إلى الهجاء المقذع إن لم يعطه الممدوح ثواب قصيدته، أو إن أعطاه مالا رآه قليلا، وقد ورد في سيرته أنه كان له عطاء من السلطان، وهذا العطاء نزر قليل، فذكره في شعره مستهينا به ساخرا من ضآلته، مصرحا أن هذا العطاء قليل لا يغنيه شيئا، وهو إنما وظف شعره لنيل الغنى وتحصيل الجاه لا مجرد العطاء؛ فقد كان لا يمدح بلا ثمن ولا يبيع شعره في سوق الكساد؛ فإن مدح ولم يعط ما يرجو، انقلب من شاعر يزجي الثناء إلى هجّاء، يصوغ لاذع القول يلسع به من يتغاضى عنه أو يتسهين بمدائحه. (١)

إن السعي الحثيث لجمع المال والتطلع إلى تكديس الثروات رغبة في الوصول إلى الجاه والسلطان، يعد من أبرز صفات الشخصية النرجسية، ومسبب عن معاناة في الصغر من الفقر وشظف العيش؛ فيصبح صاحبها متصفا بالطمع في المال لا يكفيه عطاء، ولا يتوقف عن الطموح والتطلع للمزيد، "وقد ساق أبو الفرج في أغانيه رواية فيها تصوير دقيق لشخصية المتوكل التي تجمع بين الطموح والطمع، قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفيّاض، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر

(١) راجع: ديوان المتوكل الليثي، ص١٩-٢٠.

العرب فحرمته، فقال: ما عرفته، وأرسل له أربعة آلاف درهم، فأبى المتوكل أن يقبلها، وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سرا، ثم يفكر المتوكل في هجاء عكرمة الذي غضّ من مكانته أمام الناس، بأن حرمه ولم يوفّه حقه أو يعرف قدره"[١]

ويرى آدلر "أن الطفل الذي يعاني أعباء اقتصادية، فإن ذلك يدفعه إلى تبني موقفا عدائيا من العالم".[٢]، وهذا يفسر تحوّله من المدح إلى الهجاء إن حرمه الممدوح العطاء.

كما يرى "أن النقود هي الشيء الوحيد الذي لديه قوى سحرية، فكثير من الأفراد يعتقد أنه قادر على تحقيق أي شيء عن طريق النقود؛ وهنا يمكننا فهم سعيه الحثيث الدائم لتملك العالم؛ وهذا راجع إلى طموحه وغروره، وأن تكديس الممتلكات صورة من صور الغرور، ولا شك أن امتلاك القوة مرتبط بامتلاك النقود".[٣]

إن معاناة المتوكل من الفقر، وشعوره المتأصل بالنقص والعار جراء فقره، دفعه إلى السعي وراء النقود؛ طمعا في الحصول على الجاه والسلطان، وهذا صورة من صور الغرور والطموح المتطرف المؤدي حتما إلى النرجسية.

٤- تجاهل الآخرين له

يعيش الإنسان في بيئته وسط أفراد مجتمعه يتأثر بهم ويؤثر فيهم، ولا شك أن التعامل مع الآخرين يسهم _ بوجه من الوجوه_ في تكوين

(١) شعر المتوكل الليثي، ص٢٠-٢١.
(٢)المرجع السابق، ص٧٩.
(٣) الطبيعة البشرية، ص٢١٥-٢١٦.

شخصية الإنسان، وقد يصبح سلوكه ردة فعل وانعكاس لتصرفات الآخرين تجاهه.

والتجاهل وعدم المبالاة بالإنسان، يحيله إنسانا آخر ثائر النفس مضطرب الهوى لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار، يدفعه دفعا إلى التعالي والغرور والنرجسية، كحيلة نفسية يدافع بها عن كرامته ضد من يهمشون وجوده ويهونون من شأنه، تصبح ردات فعله أكثر غضبا وعنفا وأشد وطأة من الذين لا يتعرضون لمثل هذا النوع من التصرفات التي تصدّر له معنى التجاهل واللامبالاة من المحيطين به.

ولما كانت سيرة المتوكل مجهولة، ولم نستطع التوصل لشيء عن طفولته وصباه وكل ما وصل منها كان في مرحلة قول الشعر وبعد أن صار معروفا كشاعر مشهور له وزنه بين شعراء عصره، كان تحديد التصرفات السلبية من المحيطين به وخاصة تجاهل الآخرين له، لا يمكن رصده إلا من خلال استقراء شعره، وربما من أكثر المواقف التي تعرض فيها المتوكل للتجاهل كان عندما مدح عكرمة بن ربعي فحرمه ولم يعطه عطاء يليق بمدحته، وكان من أثر هذا التجاهل أن غضب المتوكل حتى فكر في هجاء عكرمة، لكن القول لم يتح له إلا بعد حين؛ فهجاه بأبيات من بحر الوافر منها[1]:

أعكرمُ كنتَ كالمُبتاعِ بيعًا ... أتَى بيعَ الندامةِ فاسْتَقالَا
أقِلْنِي يا ابنَ ربْعِي في ثَنَائِي ... وهبْهَا مدْحَةً ذهَبتْ ضَلالَا
تَفَاوتْنِي عَمايَ بها وكانَتْ ... كنظرةِ منْ تَفَرَّسَ ثمَّ مَالَا
حَبَوْتُكَ بالثَّناء فلمْ تُثِبْنِي ... ولمْ أتركْ لمُمْتَدحٍ مَقَالَا

(1) ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، ص١٥٩.

فلستُ بواصلٍ أبدًا خَلِيلًا إذا لمْ تُغنِ خُلَّتُه قِبالا

ورغم أن هذه الأبيات أقرب إلى العتاب منها إلى الهجاء، إلا أن تحول الشخص من مادح إلى قادح، ومن محب إلى مبغض كردة فعل للتجاهل الواقع عليه، دون أن يردعه رادع من مودة أو رحمة أو خوف انقضاء الصداقة، دليل على نرجسيته، ومعروف أن الشخص النرجسي يفقد صوابه ويجن جنونه إذا شعر بالتجاهل من الآخرين، حتى إنه لا يستطيع ضبط انفعالاته، فيتحول بمشاعره من النقيض إلى النقيض.

ودعما للفكرة السابقة فقد سيطرت على المتوكل حالة من الرفض لأي تجاهل له من الآخرين، أو عدم تقديرهم لمنزلته التي يراها في نفسه، وهو غير مستعد للتسامح في هذا الشأن أو التغاضي عنه، حتى وإن وقع من محبوبة أو صديق.

ورغم أن هاتين العلاقتين (الصداقة والحب) لهما من الخصوصية ما يدفع المرء إلى التسامح والتغافل إن وقع منهما تجاوز أو تجاهل، إلا أن الأمر مختلف عند المتوكل الليثي؛ فهو يقابل ذلك بالجفاء ومجانبة الود واللطف، ويظهر التخلى والقدرة على التجاوز والبعد، إن " نفسية المتوكل مبنية على اعتبار أن تكافؤه مع الآخرين ونديته لهم، وإقبال الآخر عليه، ورغبته فيه أساس لأي علاقة، فإن أخفق الشاعر في الحصول على هذا، فهو قادر على أن يتخطى هاتين العلاقتين ويتخلص منهما"[١]

عندما يتعرض المتوكل إلى التجاهل، فإنه يعرض عن المتجاهلين بعنف، أشد من هذا التجاهل؛ أملا في استعادة ثقته بنفسه، حتى أنه يبادر بالزوال من حياة محبوبته إن تسلل إلى نفسه مجرد شعور أنها

(١) شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية، ص٩٤.

تهوى فراقه، ولا يخفى ما في معنى "الزوال" من انقضاء الحب واختفاء المحبوب في اللحظة والتو حتى كأنه لم يكن هناك حب أو محبوب، يقول عبر ترانيم الكامل[١]:

لا تَطْنزِي بِي يا حبيبُ فإنَّنِي عَجِلٌ لِمَنْ يَهْوَى الفِراقَ زَوَالِي

ولم يكتف بذلك، بل إنه يبالغ في الاعتداد بالنفس وإظهار الاستعلاء بأن يصرح بأنه لا يوجد مثله ولن تجد محبوبته شبيها له، فكم رفض من أخلاء ولم يجدوا بعده من يصون عهدهم ويرعى ودهم، وكأنه لم يُخلق على الأرض سواه!، يقول على نغم الكامل أيضا[٢]:

كَمْ مِن خليلٍ قدْ رفضتُ فلمْ يَجِدْ بعدي لمَوضعِ سرّهِ أمْثَالِي

وفي قوله: "رفضتُ" حيلة دفاعية أخرى، تبرز نرجسيته في أبهى صورها، فهو الرافض لا غير في كل علاقاته التي باءت بالفشل!

وهو لفرط حساسيته ونرجسيته لا يدع فرصة تمر دون أن يؤكد على مقدرته على القطيعة والبعد والتخلي عن محبوبته إن بدر منها ما يدل على تجاهلها له وعدم الاهتمام لأمره، يقول مترنما على نغم الكامل[٣]:

أبلغْ رمِيمَ عَلَى التَّنائِي أنَّنِي وصّالُ إخوانِ الصَّفاءِ صَرومُ

وإيغالا في المبالغة في اعتداده بنفسه، فإنه يقسم لمحبوبته على بغضه لمن لا يهتم لأمره، أو يطلب منه الوصال والود، يقول عبر أثير الوافر[٤]:

فَلا وأبيكِ مَا أهْوَى خَلِيْلًا أقاتِله علَى وَصْلِي قِتَالًا

---

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص١٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٦٧.
(٣) نفسه، ص٧٨.
(٤) نفسه، ص١٤٣.

وإذا كان هذا شأنه في التعامل مع المحبوبة، لا يقبل عذرا ولا يتغافل عن زلل، فإنه مع الأصدقاء أشد وأعنف، يتضح ذلك في عنف ردة فعله على صديقه عندما جفاه قليلا، يقول ممتطيا صهوة الوافر[١]:

أَلَا أَبْلِغ أَبَا قيسٍ رسُولًا فإنّي لمْ أَخُنْكَ ولمْ تَخُنِّي
ولكنّي طَوَيتُ الكَشْحَ لمَّا رأيتَكَ قدْ طويتَ الكَشْحَ عنّي
وكنتُ إذا الخليلُ أرادَ صَرْمِي قَلَبْتُ لصَرْمِهِ ظَهْرَ المَجَنِّ

كذاكَ قضيتُ للخُلَّانِ أنّي أدينُ عليهمُ وأدينُ منّي
فلستُ بآمنٍ أبدًا خَلِيلًا على شيءٍ إذا لمْ يأتَمِنّي

نلحظ في هذه الأبيات ارتفاع نبرة العنف عند المتوكل وإظهار الندية والرد على التجاهل بالقطيعة والعداوة والبغض، نكاد نشعر باضطرابه وثورته وهو يحاول إثبات أنه قادر على تحدي الأخرين والبعد عنهم حتى وإن كانوا أخلاء.

ويوضح آدلر "أن كثيرا من الأفراد يستخدمون طرقا عديدة للتحايل على المجتمع وتأكيد أهميتهم؛ كالتعجرف والغطرسة ؛ فالشخص المُتَغَطْرِس مَا هُوَ إلاَّ شخص يُعَاني من عُقدة نَقص؛ فهو يُفكِر قائلاً لنفسه: مِنَ المرَجح أَن كثيرًا من أفراد ذلك المجتمع المحيط سيحاولون تَجَاهُلِي والتقْلِيل مِنْ شَأْني، ولهذا فمن الواجب عليَّ أن أسبقهم وأُرِيهِم مَدَى أَهَميتي ، ومِنْ ثَم يكون سلوكه الذي يتسم بالغطرسة، وهذا السلوك ما هو إلا وجه منْ وجُوه النرجِسية"[٢]

(١) شعر المتوكل الليثي، ص٢٦٨.
(٢) أنظر: معنى الحياة، ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٧٨.

من هنا ندرك أن خلف كل سلوك عدائي، وخلف كل محاولة لإظهار التميز والتفرد والتظاهر بالاستغناء والتخلي عن الأصدقاء، شعور عميق بالنقص، يحاول الشاعر مداراته عن الآخرين عن طريق بذل مجهودات خاصة لإخفاء هذا الشعور بالدونية، وهكذا كان المتوكل، يفرط في التعالي والعجرفة ليخفي شعورا عميقا بالنقص يضرب توازنه النفسي كلما شعر أنه غير مُقدّر بين الناس.

٥- الشعور بالاضطهاد

كذلك فإن الشعور بالاضطهاد يعد من أهم دوافع الإنسان للتحول إلى الشخصية النرجسية، كأن يشعر بأنه مكروه أو محسود، أو أن الآخرين يحاولون إهانته أو تهميشه أو الغض من قدره، وأن هناك من يتمنى هزيمته أو موته، ومن ثم فهو يتخذ موقفا عدائيا تجاه كل هؤلاء، ويستميت في الدفاع عن نفسه وعن أفكاره، ويبالغ في إظهار مكانته وقوته وعزه، ويفخر بنفسه وعزمه وشدة بأسه وقدرته على مواجهة الأعداء، وكذلك كان المتوكل الليثي، يشعر أحيانا أنه مكروه؛ فهو مضطهد على كل حال، إن أخطأ مذموم، وإن أصاب فهو غير محمود، يقول على نغم مخلع البسيط[١]:

لا أعدمُ الذَّمَ حين أخْطِي وليسَ لِي في الصَّوابِ حمدُ

وهو لشدة شعوره بالاضطهاد ممن حوله، وأن هناك من يكرهه، يصرح بأن هناك من سيفرح لموته، يقول على أنغام الطويل[٢]:

---

(١)ديوان المتوكل الليثي، ص٢٥١.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٥.

ألا رُبَّ مسْرُورٍ بمَوتِي لو أتَى وآخرُ لو أُنْعَى لهُ لبَكَانِي

وهناك من ينكر فضله، ويحط من قدره ومكانته، لكنه دائما بالمرصاد، يقرع الحجة بالحجة، ويدحض الرأي بالرأي، ويرد العداء بعداء أشد منه، والجفاء بجفاء أعنف منه، ولا يترك صراعا إلا وهو منتصر فيه؛ فيُخفِت صوت عدوه، ويُنكِس رأسه، ويَسِم أنفه، حتى يُقر له بالتقدم والتفرد والتميز، يقول على نغم الكامل[١]:

بل ربَّ معْتَرِضٍ رددتُ جماحَهُ في رأسِهِ فأقرَّ وهو لئيمُ
أغْضَي علَى حدِّ القَذَى إذْ جِئْتُه وبأنْفِهِ مِمّا أقولُ وُسومُ
أنضَجتُ كَيَّتَهُ فظلَّ مُنَكَّسًا وَسطَ النَّدى كأنهُ مَأمُومُ
مُتَقنِّعا خزيانَ أعلَى صوتِهِ بعد اللَّجاجَةِ في الصُّراخِ نَئِيمُ

وهناك من يضمر له البغضاء والعداوة ولا يتورع عن هجائه، لكن شاعرنا _وهو الفخور المعتد بنفسه_ لا يهدأ له بال حتى يهجوه بهجاء أشد، بل أنه يحقر منه ويشبهه بحائض لما تغتسل من حيضها بعد، فكأن عدوه نجس نجاسة باطنه لإضماره العداوة والبغضاء، ونجاسة ظاهرة لعدم الاغتسال بعد الحيض، يقول على ترانيم الطويل[٢]:

خليليّ كم من كَاشِحٍ قدْ رَميتُه بقافيةٍ مَشْهورَةٍ ورَمَانِي
فكان كذاتِ الحيضِ لم تبقِ ماءَها ولم تُنقِ عنْها غُسْلها لأَوانِ

وهناك من يتربص به ويحاربه، لكنه ما زال بالمرصاد، يواجه كل من يحاول النيل منه، يدافع عن نفسه بالفعل والقول، يسخر من عدوه ويحط من شأنه، فكيف يجرؤ على محاربته وهو هش العظام منزوع القوى فاتر

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٨٤.
(٢) المصدر السابق، ص٢٠٠.

العزيمة وليس هذا فحسب، بل إنه عديم العفاف!، فيحط من شأن عدوه في الخِلقة والخُلُق، وكأنه يوحي بأنه فارس همام لا يصلح لحربه ومواجهته كل أحد، بل إن من يحاربه يجب أن يكون متصفا بالقوة والشجاعة والعفاف والمروءة، يقول عبر ترانيم الكامل[١]:

أنَّى تُحاربنِي وعُودُك خِروَعٌ قَصفٌ، وأنتَ من العفافِ عديمُ

ولفرط شعوره بالاضطهاد، فهو يرى أن هناك من يغشه، ولذلك فهو لن يأخذ نصيحة من غاشٍ حتى يموت، ولن يصفه أبدا بأنه صديق حميم، يقول ملتحفاء ملتحفا رداء الكامل[٢]:

لا أرْفِدُ النصحَ امرأً يغتَشُّنِي حتّى أموتَ ولا أقولُ حَميمُ

مما سبق نلحظ أن المتوكل كان في حالة من الصراع الدائم مع الآخرين، في حالة عداء مستمر ودفاع عن النفس وهجاء مقذع لهم؛ وكل ذلك بسبب شعوره بالاضطهاد ومعاداة الناس له، وسواء كان ذلك على الحقيقة، أم أنه مجرد وهم في خياله، أم حالة شعرية يستدعيها الموقف في شعر الفخر وغيره، إلا أنه نتج عنه شخص نرجسي يحاول هدم الآخرين والحط من شأنهم وهجائهم بفاحش القول، يحاول النيل منهم بكل الطرق؛ معللا ذلك بأنه يدافع عن نفسه ضد من يحاولون هدمه والتقليل من منزلته.

******

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٨٦.
(٢) المصدر السابق، ص٩٠.

وهكذا، فقد تضافرت العوامل الخمسة السابقة في تكوين شخصية المتوكل الليثي في وجهها النرجسي؛ متأثرا ببيئته وأحداث عصره، وما ناله من اضطراب جراء انتشار القلاقل والفتن والاضطرابات السياسية في مجتمعه، ومتأثرا بوضعه الاجتماعي وخمول ذكر قبيلته ووضاعة نسبه، ومتأثرا بوضعه الاقتصادي؛ حيث عانى من الفقر وشظف العيش وضيق ذات اليد، ومتأثرا بتعامل الآخرين معه بشكل سلبي، إما بتجاهله وعدم الاهتمام به والحط من شأنه، وإما باضطهاده ومعاداته ومحاربنه ومحاولة النيل منه.

المبحث الثاني

أعراض نرجسية المتوكل

تعد النرجسية من العلل النفسية التي لا يكاد يخلو منها أحد؛ فهي داخلة في تكوين كل فرد لكن بمقدار يختلف عن غيره تبعا لما يتعرض له من عوامل نفسية وبيئية؛ حيث توجد درجات من حب الذات أو النرجسية لدى جميع الأجناس البشرية[١]؛ فكل فرد منا لديه مكونات نرجسية في شخصيته، وهذا ما يسمى بالنرجسية الصحية(Healthy Narcissism) [٢] غير أنها تكون أكثر وضوحا في الكتاب والمبدعين خاصة الشعراء ؛ فـ" في كل شاعر نصيب من الغرور"[٣]، وليس ذلك إلا لأنهم أكثر قدرة من غيرهم على التعبير عن مكنونات أنفسهم؛ فيمكنهم التعبير عن اعتزازهم بذواتهم، وقدرتهم هذه على التعبير وتجويد الكلام تغريهم بإظهار هذا الاعتزاز بالنفس والكبرياء" لا لأنه من حقائق نفوسهم دائما، بل لأن الكلام يواتيهم فلا يقدرون على دفعه"[٤]

وفيما يلي محاولة لرصد أكثر أعراض النرجسية ظهورا عند المتوكل الليثي من خلال شعره وسيرته.

---

(١) استبيان الشخصية، عبد الرقيب أحمد البحيري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٥٧.

(٢) الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٢.

(٣) خصام ونقد، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٤٣.

(٤)المرجع السابق، ص١٤٣.

١- المكابرة بالذات

تظهر نرجسية المتوكل الليثي في إعجابه الزائد بذاته، وإصراره الدائم على مدح نفسه والتعاظم على الآخرين بمناسبة وبدون مناسبة، حتى إن أغلب شعره _على قلته_ كان في الفخر، ويوضح كيرنبرج أن "عظمة الذات قد تكونت من مزيج أو خليط جوانب الإعجاب لدى الفرد المتخيلة من ذاته التي قاومت الإحباط ودافعت أمام الغيظ والحسد"[١]؛ فهو لشدة إعجابه بنفسه، يجمع لذاته الصفات المتناقضة، ويقرر أن في طبعه حلاوة وفيه شدة، وأنه رجل قوي الشكيمة شديد البأس، يدافع عن نفسه وعرضه، ويكبح جماح كل من يحاول التربص به، وكأنه بصفاته جيش وحده، يقول على نغم الوافر[٢]:

صِلِيني واعْلمِي أنِّي كريمٌ وأنَّ حَلاوتِي خُلِطَتْ عُرامَا
وأنِّي ذو مُدافعةٍ صَليبٍ خلقتُ لمنْ يُضارِسُني لِجَامَا

لقد دفعه الاعتزاز بنفسه إلى التعاظم المزعج، إلى الحد الذي يجعله لا يغفر للصديق ذلته، ولا يلتمس له عذرا في غياب أو إعراض، إن تضخيمه لذاته صوّر له أنه أعظم من أن يتغافل، أعظم من أن يخطئ أحد بحقه، بل يفسر كل تصرف من الآخرين تجاهه أنه تقليل من شأنه؛ ومن ثم فهو لا يبقي على أحد، ويبادر بالقطيعة والهجر دون أن يرمش له جفن أو يهتز له قلب، يقول على نغم المنسرح[٣]:

(١) الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٨.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص١٢٢.
(٣) المصدر السابق، ص٢٦٠.

إنّي إذا مَا الخليلُ أحدثَ لِي صَرما و ملَّ الصَّفاءَ أو قَطَعَا
لا أحتَسِي ماءَه علَى رَنَقٍ ولا يَرانِي لبَينِهِ جَزِعَا
أهْجُرُه ثمَّ تَنقَضِي غُبرُ ال هُجْرانَ عنّي ولمْ أقلْ قَذَعَا

وهذا الغلو في تقدير الذات والإعجاب بها، جعل الشاعر يفخر بنفسه وينتشي بأفعاله حتى على بني عمومته وقبيلته التي كانت في كثير من الأحيان هي مصدر عزه وفخره، ولا غرو؛ فهذه صفة النرجسي، يتخذ العداء درعا أمام كل من يحاول التقليل منه، لا يمكنه التفريق بين عدو وصديق أو بين قريب وغريب أمام اعتزازه بذاته وإعجابه بنفسه، يقول عبر ترانيم الوافر مفتخرا بقوته وقدرته على المقاتلة والمنافرة أمام بني الشداخ (قبيلته) [١]:

لقد عَلِمتْ بنو الشّدَّاخِ أنّي إذا زاحمتُ اضْطلعُ الزِّحَاما

وتفوح رائحة تعظيم الذات والشعور الحاد بالعظمة والولع بالتباهي بالنفس عندما يجعل المتوكل من نفسه نجما لامعا في السماء، مقررا أنه أفضل من بقية البشر الذين يموتون وهم على قيد الحياة لأنهم لا ذكر لهم مقارنة بحظه من الشهرة والذيوع، وأنه لا يدعي ذلك، بل هذا طبع فيه ثابت له، وليس أدل على تعظيمه لذاته وتضخيمها من استخدامه ضمير الجمع للمفرد المعظم نفسه، يقول عبر أثير الكامل[٢]:

إنَّا أُناسٌ تَسْتنيرُ جُدُودُنا ويموتُ أقوامٌ وهم أحياءُ
قد يعلمُ الأقوامُ غير تَنَحُّلٍ أنَّا نجومٌ فوقهُنَّ سماءُ

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص١٢٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢٤٩.

إن دأبه الدائم على تعظيم ذاته وتفضيلها على الآخرين، ومحدودية رؤيته لعيوب نفسه وعدم الاعتراف بها، والشعور بالإعجاب الشديد بالنفس مصاحبا لاحتقار الآخرين والتقليل منهم، من أهم ما يدعم وصف المتوكل بالنرجسية، " وقد بيّن كوت أن من الخصائص البارزة للنرجسية، ميل النرجسي أن يكون له خط ثابت من الشعور بالعظمة"[١]

٢- الأنا المتعالية

عند الاطلاع على شعر المتوكل الليثي نلحظ ذلك الحضور الطاغي للأنا المتعالية في شعره، تلك الأنا التي توحي للقارئ دائما بغطرسته وتكبره وغروره، كما توحي دائما بموقف التحدي والعداء الذي اتخذه من الآخرين، بل وشعوره الدائم بالتفوق عليهم، إن ذلك الحضور الطاغي لأناه المتضخمة يشير إلى نرجسيته الباثولوجية، وغير خاف "أن النرجسية الباثولوجية تشير إلى تضخيم الفرد لأناه".[٢]

إن هذا التعالي وتضخيم الذات والغرور؛ نابع من إحساسه بوضاعة نسبه، من شعوره الدائم بالنقص بسبب خمول الذكر والفقر وضيق ذات اليد، إن كل تلك المؤثرات النفسية تدفع المتوكل دائما إلى التعبير المتعجرف عن النفس موظفا الأنا المتعالية في أغلب أشعاره؛ رغبة في تعويض ذلك النقص الذي يشعر به.

يمكننا رصد ذلك التعالي والغرور عند حديثه المباشر عن نفسه، وتركيزه على تعداد خصاله وسجاياه؛ فهو الشهم الجلد الذكي، وهو لقوة شخصيته لا يثنيه عن عزمه شيء، يقول ناسجا من نغم الكامل[٣]:

---

(١)الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٩ .
(٢) المرجع السابق، ص٣٢.
(٣) ديوان المتوكل الليثي، ص٨٨.

إنِّي أبَى لِي أنْ أُقصِّرَ والدٌ شهمٌ على الأمْرِ القويِّ عَزُومُ

وهو أصيل الطبع عالي المروءة، يصل الأخلاء وصلا كالجبال العالية ارتفاعا والصحراء البعيدة اتساعا وإيغالا، يقول عبر ترانيم الكامل[١]:

وأنا امرؤٌ أَصِلُ الخليلَ ودونَه شَمٌّ الذُرَى ومَفَازةٍ دَيمُومُ

ثم يتباهى بقوته وشدة بأسه وإخافته الأعداء، يقول:

أنا الصقر الذي حدثت عنه عتاق الطير تندخل اندخالا[٢]

ولا ينسى في معرض الفخر بنفسه وتضخيم ذاته، أن يمتدح ويعدد شيمه النبيلة في القول كما امتدحها في الفعل، فهو غير فاحش ولا بذيء، وهو مع ذلك قوي الحجة غير عاجز عند المواجهة والحجاج، يقول على نغم الكامل[٣]:

إنِّي امرؤٌ ليسَ الخَنا منْ شِيمَتِي وإذا نَطقتُ نطقتُ غيرَ عِيالِ

ثم هو سمح كريم جواد، يعرف الفضل لأهله، وليس ذلك إلا لأنه يتبع أخلاق والده ويترسم خطاه، يقول عبر أثير البسيط[٤]:

إنِّي امرؤٌ أعرفُ المعروفَ ذَا حسبٍ سَمحٌ إذا حاردَ الكُومِ المَرَافِيدُ

أجري علَى سنَّةٍ منْ والدِي سَبَقتْ وفي أرُومَتِهِ ما يُنبِتُ العودُ

وهو منزلة عالية من العز والشرف، ليس فقط في حياته، وإنما ستظل بعد موته أيضا، يقول على نغم الطويل[٥]:

ستعلمُ قومِي أنَّنِي كنتُ سورةً من العِزِّ إنْ داعِي المَنُونِ دَعَانِي

---

(١)ديوان المتوكل الليثي، ص٨٨.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٥.
(٣) نفس المرجع، ص١٦٦.
(٤) نفس المرجع، ص٢١٤.
(٥) نفس المرجع، ص١٩٤.

وهو يعرف للرجولة حقها فلا يصل إلا من هم مثله في السماحة والكرم، يقول على نغم البسيط[١]:

أمُّ الصّبيَّينِ دومِي إنَّني رجُلٌ حَبْلِي لأَهْلِ النَّدى والوَصْلِ مَمْدُودُ

ثم يتوسع في الحديث عن نفسه حين يجعلها جزءا من قومه؛ فيفتخر بضمير الجمع، وتذوب الأنا الفردية المتعالية في نحن المختالة الفخورة بنفسها؛ وكيف لا وهو يضخم ذاته منضما إلى قومه مقررا أنهم هم الصدور وعلية القوم وليس سواهم، ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يحقر من الآخرين ويذري بهم، ويثبت أنهم أذناب، فلا وجه إذن للمقارنة بينهم وبين غيرهم، يقول على نغم بحر الخفيف[٢]:

إنَّنا معشرٌ خُلِقنَا صُدُورًا منْ يُسَّوي الصُدورَ بالأَذْنابِ

ثم تتطور نظرة الشاعر إلى حد الإعجاب المطلق بالنفس وبالقبيلة، والغرور في الوصف وتعداد السمات، فيحشد الصفات النبيلة حشدا، حتى كأن الأرض ليس عليها غير قبيلته؛ فهم الفرسان الشجعان، وهم الكرماء، هم أصحاب الشهامة والمروءة، لا يدانيهم شرف ولا يشبههم أحد، يقول عبر أثير الكامل[٣]:

نحنُ بنو الشَّدّاخ لمْ يَعْلُهم حافٍ منَ النّاسِ ولا نَاعلُ

تَناذرَ الأعداءُ إيقاعَنا فارسُهم والآخرُ الرَّاجلُ

خُيولُنا بالسَّهلِ مَشْطُونَةً مثلُ السَّعَالَى والقَنَا الذّابِلُ

نُعِدُّها إنْ كادَنا مَعْشَرُ أو نَزلَت حربٌ بِنا حائِلُ

---

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٢١٨.
(٢) المصدر السابق، ص٢٥٠.
(٣) نفس المصدر، ص٢٤٢.

في كل ملتَفٍّ لفرسَانِها منهم عَقيرٌ وفتَى مايلُ

يعدُون بالأَبْطالِ نحو الوَغَى وهَمُهُّن الشَرفُ القابِلُ

وهو عند الفخر بنفسه في جملة أهله وعشيرته، لآ يكتفي بذكر الفروسبة والشجاعة، بل يستمر في حشد الصفات والسجايا الحسنة؛ فهم أهل الحلم والعلم والفضل والسماحة والكرم، لا يبخلون بمال أو بطعام على من يأتي إليهم ضيفا، يقول على نغم الكامل[١]:

يا ريطَ يا ريطَ ألمْ تُخْبَرِي عنَّا وقدْ يَحمدُنا السَّائلُ

والجارُ والمختبطُ المُعْتَفِي معروفَنا والآخرُ النَّازِلُ

إنْ تَسألِي عنَّا يَقُل سادةٌ فيهم حَلومٌ ونَدى فاضِلُ

نُهِينُ للضَّيفَانِ شَحْمَ الدُّرَى فمنهم الوارد والنَّاهِلُ

ثم هو قوي الشخصية والعزيمة على الأعداء وعلى كل من يحاول أن يعتدي عليه وإن كان من قومه وبني عمومته، فهو معلوم عنه القوة والشدة والعزم، يستحضرها إن لم يقدر أقاربه حلمه وصبره على اعتداءاتهم وجهلهم، فهو قد جمع في نفسه القوة مع الحلم، ولكل وقت مناسب يبرز فيه، يقول عبر ترانيم الطويل[٢]:

بنِي عمَّنا إنَّا كمَا قد عَلِمْتم أولُو خُشنةٍ مخشِيَّةٍ وزِبَانِ

هم بَطَرُوا الحُلمَ الذِي مِن سَجِيَّتِي فبدَّلتُ قَومِي شِدّةً بليَانِ

---

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٤١.
(٢) السابق، ص١٩٧.

إن ما مر به في حياته من عوامل الفقر ووضاعة النسب وغيرها؛ دفعته إلى التعالي والغرور، والإصرار على الفخر بالنفس وحشد الصفات النبيلة له ولقبيلته وكأنه يستأثر بها لنفسه ولقومه لا غير، " ولعل أظهر صفة نفسية عند المتوكل هي الإعجاب بالنفس والاعتزاز بسجاياها وخصالها، وكان لهذه الصفة تأثير مهم في الشاعر، أبرزها فخره الذي ورد في أغلب قصائده، وقد أظهر فيه مدى ذلك الإعجاب، ليصبح فخره حديثا عن النفس وتعدادا لمزاياها"[١]

٣- التعالي والاستكبار

كان المتوكل الليثي شديد التعالي دائم الزهو بنفسه؛ ومن ثم جاء أغلب شعره في الفخر والثناء على نفسه، "فهو يفخر في سياق الغزل، ويفخر في سياق الهجاء والمديح، ولا يقتصر فخره على جزء من أجزاء القصيدة، بل يتكرر في أنحائها، فهو مُلحٌ على الفخر إلحاحا واضحا، وفخره الكثير هذا متأت من إعجاب الشاعر بنفسه، واعتزازه بسجاياه".[٢]

فهو لشدة اعتزازه بنفسه واستكباره المتناهي، لا يرضى بالإقامة في أي مكان إن لم يعجبه ويرضي غرور نفسه، فهو كثير الترك والتنقل من الأمكنة حتى يجد ما يشبع كبرياءه، وهو مع ذلك كثير الحقد على من يقلل من شأنه بل يدفعه حقده إلى الظلم والتعدي، ولا يمكن أن يثنيه أحد عن ظلمه حتى يرضي هوى نفسه، يقول على نغم الكامل[٣]:

---

(١) شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية، ص٩٢.
(٢)راجع: ديوان المتوكل الليثي، ص٣١-٣٢.
(٣) السابق، ص٨٣.

تزَّاك أمكنةٍ إذا لمْ أرضَها حمَّال أضغانٍ بهنَّ غَشُومُ

كما يدفعه استكباره إلى رفض الخلان والتخلى عن صداقتهم وأخوتهم، وهو واثق من أنهم لن يجدوا مثله في صفاته الحسنة الكثيرة التي لا يمل من إثباتها لنفسه والتأكيد على اتصافه بها من الوفاء والأمانة وحفظ العهد والسر، يقول على نغم الكامل[١]:

كمْ منْ خليلٍ قدْ رفضتُ فلمْ يَجِد بعدِي لمَوضِعِ سرِهِ أمْثالِي

وعلى غرار قول المتنبي:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي[٢]

يترفع المتوكل عن أن يعتمد على حسبه ونسبه في إحراز المجد والرفعة، يقول ممتطيا صهوة الوافر[٣]:

ولستُ بقانِعٍ منْ كلِّ فضلٍ بأنْ أُعزَى إلى جَدٍ هُمَامِ

ثم يعود فيناقض نفسه ويفخر بأبيه وبنسبه وانتمائه إلى خزيمة، " فهو كثير الفخر بأبيه الذي يجري على سنته وبأجداده وقومه من بني الشداخ وقبيلته الكبرى خزيمة"[٤]، يقول على نغم الكامل[٥]:

لا بَلْ أحيِّي بالكرامةِ أهلَها وأذمُّ منْ هو في الصديقِ وخيمُ

وبذاكَ أوصانِي أبِي وأنا امرؤٌ فرعٌ خُزيْمةَ مِعْقلِي وصميمُ

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص١٦٧.
(٢) ديوان المتنبي، ط اليازجي، بيروت، لبنان، ص١٧.
(٣) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٦٧.
(٤) السابق، ص٣٣.
(٥) نفسه، ص٨٩.

وليس هذا التناقض إلا ضربا من الاستكبار، الذي يمنعه دائما من الاعتراف بالنقص في أي موقف، فيروح يجمع لنفسه الصفات الحسنة جميعا؛ مما يوقعه دون أن يدري في هذا التناقض.

إن استكباره الطاغي قد يقوده إلى التخلي عن الأصدقاء وفراق الأحبة إذا عصوا أمره؛ فلا يبقي على أحد رغم ما يصف به نفسه من حرصه على الوصل والوفاء لأصدقائه، يقول على نغم الطويل[١]:

وصولٌ صرومٌ لا أقولُ لمدبرٍ هلمَّ إذا ما اغتَشَّنِي وعَصَانِي

"إن المعنى المتعاظم لأهمية الذات من سمات الشخصية النرجسية، مثل المبالغة في الإنجازات والمواهب، والانشغال بأخيلة النجاح غير المحدود، والقوة"[٢]

إن المتوكل الليثي كان خاضعا لسطوة كبريائه، يصدر في تصرفاته وتعامله مع الآخرين من منطلق استكبار محض، يمنعه من الاعتذار أو الإقرار بنقص أو حتى التمسك بحبيب مغادر أو صديق غاضب.

٤- الإلحاح في تضخيم الذات

يميل الشخص النرجسي دائما إلى أن يكون محط أنظار الجميع وموضع اهتمامهم، ويلح دائما على إبراز صفاته وسجاياه التي تشعره بالتفوق والتفرد، فصاحب الشخصية النرجسية " يريد الاستعراض أمام الناس؛ لكي يوضح لهم مدى سموه عنهم"[٣]، وقد كان المتوكل كذلك،

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص١٩٨.
(٢) الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٤٧.
(٣) المرجع السابق، ص٧٤.

يسرف في الحديث عن نفسه وإظهار صفاته ومدح ذاته؛ لكي يعلن للآخرين عن وجوده ويلفت نظرهم إليه، مقررا تفوقه وعلو منزلته عنهم.

" ويشير الطب النفسي إلى أن الاستعراض وطلب الفرد الانتباه والالتفات إليه والإعجاب به بصفة مستمرة من الآخرين، من سمات الشخصية النرجسية"[١]

وقد كان المتوكل الليثي محبا لذاته، يتوق إلى رفع مكانتها بين الناس؛ ولذلك فهو يرغب دائما في الاستعراض وإظهار التفوق على الآخرين، فيزهو بنفسه ويستعرض مواهبه وصفاته الحسنة، فهو دائم الوصل لإخوانه وأخلائه طالما كان الصفاء قائما بينهم، لكنه أيضا قادر على البعد مقتدر على رد الجفاء بالجفاء إن وقع منهم ما يغضبه، وهو شهم أمين عالي الهمة والمروءة، لا يفشي سر أحد ولا يتحدث عنه بما يسيء إليه حتى وإن وقع بينهما خلاف أو جفوة اقتضت التنائي والبعد، ولا غرو فهذا من شيم الشرفاء وهو بهم زعيم، وهو لفرط شهامته ومروءته لا يتخلى عن جار أو صاحب فقير حتى وإن أذنب وأخطأ في حقه، بل يسانده ويشد من أزره وينقذه إشفاقا عليه من العجز والفاقة، يقول عبر أثير الكامل[٢]:

أبلِغ رميمَ على الَّتنَائِي أنَّنِي ... وصَّال إخوانَ الصّفاءِ صَرُومُ

أرعَى الأمانةَ للأمينِ بحَقِّها ... فيبينُ عَفّا سرهُ مَكْتُومُ

وأشُدُّ للمَوْلَى المدفَّعِ ركنَهُ ... شَفَقًا من التعجيزِ وهوَ مليمُ

إنه لشدة إعجابه بنفسه ورغبته في إظهار ذاته ولفت انتباه الناس إليه، لا يدخر وسعا في وصف نفسه بكل الصفات والسجايا الحسنة، فهو

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٤٨.
(٢) المصدر السابق ، ص٧٨.

يظهر للناس أنه رجل عصامي لا يعتمد في بناء نفسه وسيرته الحميدة على حسبه ونسبه، وإنما يجتهد في بناء شخصيته وحياته، دون الركون إلى حسب أو مجد صائر إليه من الآباء والأجداد؛ فهو قادر على إحراز المجد وحده، يقول عبر ترانيم الكامل[١]:

لسنَا وإنْ أحسَابُنا كَرُمَتْ ممنْ علَى الأَحسابِ يَتَّكِلُ

نَبْنِي كَمَا كانت أوائِلُنا تبنِي ونَفْعَل مثلمَا فَعَلُوا

ويستمر الشاعر في الزهو بنفسه واستعراض مهاراته؛ حبا في لفت الأنظار إليه، فهو دائم الثناء على نفسه، يصف نفسه بأنه ذو خلق رفيع؛ فهو غير فاحش ولا بذيء اللسان، وإذا نطق فهو قوي في الحق غير عاجز عن إقامة الحجة ومقارعة الرأي بالرأي، يقول على نغم الكامل[٢]:

إنّي امرؤٌ ليسَ الخَنَا منْ شِيمتِي وإذا نطقتُ نطقتُ غيرَ عِيالِ

وهو لنبل أخلاقه وشهامته؛ لا يقطع صديقه وإن تركه ونأى عنه، بل يصله ويدافع عنه إن احتاج إليه، يقول عبر ترانيم الكامل[٣]:

إنّي امرؤٌ أصلُ الخليلَ وإنْ نأَى وأذبُّ عنْهُ بحيلةِ المُحْتالِ

غير أنه وهو على هذا القدر من الشرف والشهامة وحسن الخلق، وحرصه الدائم على وصل الأصدقاء والدفاع عنهم، لا يتردد في الفراق والبعد والجفاء إن بدر منهم ما يشي بتجاهله أو التقليل من شأنه، فهو يعاجلهم بالقطيعة والزوال من حياتهم إن شعر برغبتهم في فراقه، يقول على نغم الكامل[٤]:

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٢٧٦.
(٢) المصدر السابق، ص١٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص١٦٨.
(٤) نفس المصدر، ص١٦٧.

لا تطنُزي بي يا حبيبَ فإنَّنِي عَجِلٌ لمنْ يَهْوى الفِراقَ زَوالِي

وكونه حسن الخلق مأمون الجانب لا يعني عجزه عن حماية نفسه وعرضه من أوغاد الناس والمتجاوزين في حقه، بل يثبت للناس ولنفسه مقدرته على الدفاع عن عرضه بالقول والفعل إن حاول أحد التعدي عليه أو مهاجتمه، يقول على نغم الوافر[١]:

أقِي عِرْضِي إذا لمْ أخشَ ظُلْمًا طَغامَ النَّاسِ إنَّ لهم طَغَامَا

ومن شدة حرص المتوكل الليثي على الإعلان عن ذاته وصفاته، ومحاولته الدائمة إثبات تميزه وحيازة جميع الصفات الحسنة قد يوقع نفسه – أحيانا– في التناقض الفج، فهو القائل عبر أثير الكامل[٢]:

إنّي امرؤٌ أصلُ الخليلَ وإنْ نأَى وأذبُّ عنْهُ بحيلةِ المُحْتالِ

إنه يصل الخليل حتى وإن بعد عنه ويدافع عنه متى احتاج مساعدته؛ فهو لا يتخلى عن أصدقائه في القرب أو البعد، وهو نفسه الذي قرر بعد ذلك أنه لن يتورع عن مقاطعة خليله إن بدأ بالجفوة بل سيناصبه عداء بعداء، ويجازيه على بعده بجفاء، فهو لا يمكن أن يأتمن صديقه على شيء إن لم يكن يعامله بنفس الدرجة من الاهتمام والتقدير، يقول على نغم الوافر[٣]:

وكنتُ إذا الخليلُ أرادَ صَرْمِي قَلَبْتُ لصَرْمِهِ ظَهْرَ المَجَنِّ

كذاكَ قضيتُ للخُلَّانِ أنّي أدينُ عليهمُ وأدينُ منّي

فلستُ بآمنٍ أبدًا خَلِيلًا على شيءٍ إذا لمْ يأتَمِنّي

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص١٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص١٦٨.
(٣) نفس المصدر، ص٢٦٩.

إن سعيه الدائم ليكون محور الاهتمام، وإصراره على إثبات التفوق والتميز على الآخرين، بمثابة محاولة لتعويض ما يجتاحه من مشاعر النقص والدونية، ويوضح أدلر" أن مشاعر الدونية وعدم الكفاية هي التي تحدد هدف الفرد في الوجود، فإن الميل إلى الظهور وجذب الانتباه والرغبة في أن يعترف الجميع بوجودنا يسير جنبا إلى جنب مع الشعور بالدونية، والغرض من هذه المؤشرات هو الحصول على حالة يمكن فيه للفرد أن يبدو متفوقا على البيئة المحيطة"(١)

بينما يرى فرويد "أن الرغبة في جذب أنظار الناس وإعجابهم يتخطى النرجسية قليلا، إلى هستريا القائد أو النوراستانيا المزمنة أو إلى دعائم عظامية مرافقة لشخصيته، أو ما نسميه بالعصاب الطبائعي"(٢) أي أن مبالغة الفرد في الإعلان عن ذاته وإثبات مهاراته للفت انتباه الناس وجذب نظرهم قد يتجاوز حد النرجسية إلى هستريا القيادة أو جنون العظمة.

والحق أنني لا أرى المتوكل الليثي قد وصل إلى هذا الحد من جنون العظمة أو الهستريا العَظامية، لأن كل ما يفعله مجرد حيل نفسية لوأد مشاعر الدونية والنقص المتأصلة في أعماقه؛ جراء الفقر وضعة النسب.

٥- الفخر بشعره

كان شعر المتوكل الليثي مجالا خصبا لإظهار نرجسيته وغروره، فهو لا يتوقف عن بيان تميزه فيه، وعلو منزلته في فن القصيد عن غيره من الشعراء، فـ" هو شاعر معتد بشعره إلى حد الغرور"(٣)،ويمكننا أن نستشعر

(١) الطبيعة البشرية، ألفريد أدلر، ص٨١-٨٢.
(٢)الطبيعة البشرية، ص٣٧٧.
(٣) ديوان المتوكل الليثي، ص١٠.

مدى اعتزازه وفخره بشعره عندما يقرر أن يفتتح البيت بالفخر بقصائده في قوله من الكامل[١]:

وقصائِدِي فخرٌ وعِزِي قاهرٌ مُتَمَنِّع يعلُو الجبالَ جَسِيمُ

إنه لا يترك مناسبة تمر دون أن يسجل فيها فخره بنفسه وبشعره، حتى على ذويه وبني عمومته، ففي معرض فخره على بني الشداخ (قبيلة الشاعر)، وفي جملة الصفات التي امتدح بها نفسه، يبين أنه شاعر مجيد قوي اللغة والمنطق، فلا يقول سفساف الكلام ولا يتناول حقير المعاني، ولا يكون هو الظالم أبدا إذا حمي الوطيس واشتدت الخصومة، فهو نبيل الفكر والخُلُق على السواء، يقول على نغم الوافر[٢]:

ولستُ بشاعرِ السَّفْسَافِ منْهُم ولا الجانِي إذا أشِرَ الظَّلامَا

وليس ذلك وحسب، بل يرى نفسه قاهر الشعر، فلا يقول السقط، ولا ينتحل قصائد غيره، ولا غرو؛ فهو شاعر فذ متفرد، يقول عبر أثير الوافر[٣]:

قهرتُ الشِّعرَ قدْ علِمتْ معدٌّ فلا سقْطًا أقولُ ولا انتِحَالَا

وهو فوق ذلك شاعر شهم ذو خلق رفيع، يعرف قيمة الكلمة، وخطر اللسان، وما يمكن أن يسببه له أو لغيره من أثر سلبي؛ فيقرر أنه لا يمكن أن يهجو أحدا إلا دفاعا عن نفسه، وانتصارا لكرامته، فلا يهجو إلا من بدأه بالهجاء، أو تعرض له بفاحش القول، يقول على نغم الطويل[٤]:

على أنَّني لمْ أرمِ في الشِّعرِ مُسلمًا ولمْ أهْجُ إلَّا منْ رَمَى وهجَانِي

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٨٨.
(٢) المصدر السابق ، ص١٢٤.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٦.
(٤) نفس المصدر، ص١٩٦.

والمتوكل شاعر حصيف مفتون بالشعر والقصيد، يعرف قيمة الشعر وقوة أثره ومدى تأثيره في الناس، يدرك ما للشعر من سطوة تصل إلى تشبيهه برمي السهام، والقول الجيد هو الذي ينفذ إلى القلوب والعقول لا غير، وكيف لا وهو لب المرء يعرضه للناس، فهو القائل عبر ترانيم الكامل[١]:

الشعرُ لبُّ المرءِ يَعرِضُه والقولُ مثلُ مواقعِ النَّبْلِ

منها المقصِّرُ عنْ رميَّتِهِ ونوافذٌ يذهبْنَ بالخُصَلِ

من أجل ذلك وغيره؛ اتخذ المتوكل من الشعر ميدانا فسيحا لفخرياته، واعتزازه بنفسه بل واستعلائه على الآخرين شعراء وغير شعراء، لقد بلغ من افتخاره بشعره، وثقته بنفسه في النظم وقول الشعر أن تحدى شاعرا كبيرا كالأخطل، حيث خاطبه بأسلوب يفيض غرورا ونرجسية؛ حيث قال له:" أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تنشدني قصيدة، إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري" وقد فعل، حتى أقر له الأخطل بالشاعرية والتميز[٢]

٦- تحقير الخصوم

من السمات الواضحة والتي تكشف شخصية النرجسي، إعلاؤه لقدر نفسه، لكن هذا الإعلاء لا يكون إلا بتحقير الآخرين وإظهار كراهيتهم، ويرى أدلر أن الشعور بالارتفاع والتعالي على الآخرين من خلال تحقير كل ما يتصل به، والرغبة الملحة في النيل من الجميع بأي ثمن، صورة من صور النرجسية.[٣]

---

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٢٧٨.
(٢) راجع: ديوان المتوكل الليثي، ص١٨.
(٣) راجع: الطبيعة البشرية، ص٨٦.

كما يؤكد كرينبرج أن التحقير من الآخرين، صفة ثابتة من صفات الشخصية النرجسية المضطربة. [١]

وكذلك كان المتوكل الليثي، يعلي قدر نفسه من خلال تحقير الآخرين؛ فيرى في الناس كل الصفات المشينة ويصفهم بالمعاني الدنيئة من الجبن والبخل والنفاق واللهو، وقد يبالغ في التحقير والهجاء إلى حد نزع صفات الرجولة عن خصومه؛ فيصف مبغضه الذي يرميه ويهجوه بقصيدة ضعيفة لا ترقى لمستوى قوافيه المشهورة، بأنه كالمرأة حال ذهاب الحيض وقبل الطهر منه، وكأنه جمع عليه عدم الطهر في المظهر والجوهر، ونفى عنه الرجولة في الصفات والإجادة في الشعر، يقول على نغم الطويل[٢]:

خليليّ كم من كَاشِحٍ قدْ رَميتُه بقافيةٍ مَشْهورَةٍ ورَمَانِي

فكان كذاتِ الحيضِ لم تبقِ ماءَها ولم تُنقِ عنْها غُسْلها لأَوانِ

وللإمعان في تحقير الخصم؛ فهو لا يتوقف عند وصفه بالجهل وإضاعة العرض والرضا بالسب والتقليل من الآخرين، بل إنه يلجأ لأسلوب التصغير عند نعت الخصم بالضعف والجبن فقال:"زويملة" بدلا من زمل والزمّيل، مبالغة في تحقيره والتهوين من شأنه، يقول على نغم الكامل[٣]:

قد كنتُ قلتُ _ وأنتَ غيرُ موفَّقٍ_ ماذا زُوَيملَةِ الضَّلالِ يَرُومُ

أنتَ امرؤٌ ضيَّعتَ عِرضَك جاهلٌ ورضيتَ جَهلًا أن يُقالَ أثِيمُ

(١) الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٧.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٠٠.
(٣) المصدر السابق، ص٨٧.

والمتوكل دائم الضجر من الناس، يرى في نفسه المثالية والكمال؛ ومن ثم فكل من خالف صفاته تلك فهو مهين حقير، ولا يتورع عن هجائه بأقذع الصفات، إنه يرى نفسه قد بلغ الغاية في القوة والشجاعة والإقدام، ولذلك فهو يرى خصمه على العكس من ذلك، ضعيف ذليل عديم الشرف والقوة والشجاعة؛ ومن ثم فهو لا يرقى لمحاربته، يقول عبر أثير الكامل[١]:

وإذا شربتَ الخَمرَ فابْغِ تَعِلَّة غيرِي يَبينُ بها إليكَ نديمُ
أنَّى تحاربُنِي وعُودُك خِروَعٌ قصْفٌ وأنتَ من العفافِ عَديمُ

وعندما يواجه خصمه يجده متقنعا بقناع الخزي والمذلة، فهو ضعيف يتحول صوته إلى أنين بعدما كان يتمادى في خصومته، وكيف لا وهو يواجه المتوكل الليثي، الذي لا يرى شجاعا في العالمين غيره، يقول على ترانيم الكامل[٢]:

مُتقنِّعًا خَزيَانَ أعلى صوتِهِ بعد اللُّجاجَةِ في الصُّراخِ نئِيمُ

ولما كان يرى نفسه قد بلغ غاية الوفاء ورعاية الحقوق وطيب المعشر وحفظ العهد والسر، فهو يحذر الناس من مصاحبة خصمه اللئيم، الذي لا يتردد في إفشاء السر والكذب والبهتان إن قاطعه أصدقائه، يقول ممتطيا صهوة المنسرح[٣]:

احذرْ وِصالَ اللّئيمِ إنَّ لهُ عَضَهَا إذا ما حبلُ وصلِهِ انْقطَعَا

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص٨٦.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٨٥.
(٣) نفس المصدر، ص٢٦١.

إن المثالية المفرطة التي يتخيلها المتوكل في ذاته، هي لب نرجسيته، هي المحرك الأول لتهوينه وتحقيره من شأن الآخرين، وقد أكد ريتش وكوت أن البحث عن المثالية من أهم السمات البارزة في الشخصية النرجسية، وهذا ما ذهب إليه سالمون وأندرسون أيضا، حيث ذهبا إلى أن المثالية المزمنة من معايير اضطراب الشخصية النرجسية [١].

إنه ينشد الكمال في كل من حوله، لكنهم يخالفون توقعاته، فهذا الذي يرتدي عباءة الواعظ أولى به أن يعظ نفسه ويعلمها، فهو أولى بالنصح والتعليم من غيره، هو الذي يحتاج إلى الرشاد الذي يفتقده، وعليه أن يكف عن التظاهر بالتقوى والورع، فهذا لا شك من العار الذي يخلفه النفاق في صورة الإنسان، يقول على نغم الكامل[٢]:

يا أيُّها الرَّجلُ المُعلِّمُ غيرَه ... هلا لنَفْسِك كان ذا التَّعليمُ
تصفُ الدّواءَ لذِي السَّقامِ وذي الضَّنا ... كَيْما يصحُّ بهِ وأنتَ سَقيمُ
وتراكَ تُصلِحُ بالرَّشادِ عُقُولَنا ... أبَدا وأنتَ من الرشَادِ عديمُ

وهو لرفعته وعلو شأنه يجد نفسه مذموما من خصمه الدنيء، ولو نظر ذلك الخصم لنفسه لوجد الدناءة والنفاق والجهل صفات جلية ظاهرة عليه لا تحتاج إلى إشارة أو بيان، يقول عبر أثير الكامل[٣]:

تَلْقَى الدَّنِيُّ يذِمُ منْ يَنوي العُلى ... جَهْلًا ومتْنُ قناتِهِ مَوصُومُ
فِعلُ المنافقِ ظلَّ يأبِنُ ذا النُّهى ... في دينِهِ ونفاقُهُ معلومُ

(١) راجع: الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٩-٥٠.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٨٤.
(٣) ديوان المتوكل الليثي، ص٩١.

لقد تعمد المتوكل الليثي تحقير خصومه والإمعان في إهانتهم، وتفنن في هجائهم والسخرية منهم، وغير خاف أن ذلك من دعائم النرجسية.

٧- الشعور بالحسد

كان المتوكل دائم المقارنة بينه وبين الآخرين في الإنجازات والشعر والصفات، ثم إنه يحكم لنفسه بالتفوق والتقدم، ولا شك أن هذه المقارنه وهذا الحكم المبني على الإعجاب بالنفس، كانا يؤصلان في نفسه شعورا عميقا بأنه مبغوض محسود من الآخرين، ومعلوم أن "الشعور بالحسد يتزايد بوصفه رد فعل لاستمرار الفرد في المقارنة بين إنجازاته وإنجازات الآخرين"[١]

يرى المتوكل نفسه دائما في المقدمة وكل الناس في مرتبة ثانية، إنه معجب بنفسه يمتدح صفاته وقوته؛ ولذلك فهم يكرهونه ويحسدونه، رغم أنه ينهاهم عن هذا الحسد والبغض علانية، لكنهم لا يجدي معهم نفعا كل هذا النهي والصد من جانبه، يقول على نغم البسيط[٢]:

مازلتُ أقدمُهُم حتى علوتُهُم وهزَّني رافدٌ منهم ومرفُودُ

وقد نَهيتُهم عنِّي علانِيةً لو كان يَنفعُهم نَهيٌ وتَوصِيدُ

وفي نفس السياق يستمر الشاعر في تمجيد نفسه وتضخيم ذاته، منوها على قوته وشدة بأسه؛ فلا يجد أعداؤه إلى هزيمته وإضعاف شوكته وعزيمته سبيلا، شاكيا كثرة حساده وشانئيه، ولا يفوته في هذا المقام التحقير منهم والحط من شأنهم ووصفهم بالحمق والرعونة، وهذا الازدراء

(١)الطبيعة البشرية، ألفريد آدلر، ص٢١٨.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٢١٨.

بالآخرين يعد من أبرز سمات الشخصية النرجسية، يقول عبر أثير البسيط [١].

أعْيَتْ صِفَاتِي علَى منْ يبْتَغِي عَنَتِي فما يُوهِنُ مثْنَيها الجَلامِيدُ

كم قدْ هَجَانِي من مُسْتَقتِلٍ حَمِق فيهِ إذا هزَّ عندَ الحقِّ تَغرِيدُ

وهو لكل ما مر، يرى أنه يفوق الآخرين منزلة ومكانة، بل أنه أفضل فرد في عائلته، ومن أجل ذلك؛ فهو مطلوب من بقية القبائل لاستيفاء الثأر منه، ولا يخفى أن المطلوب لأخذ الثأر يكون هو أفضل أفراد عائلته، ومن ثَمَّ؛ فلا شك أن يكون محسودا وهو ذو الفضل والعلم والعقل والحكمة؛ فكما تقتضي سنن الطبيعة البشرية أن يكون ذو اللب محسودا، يقول على نغم البسيط[٢]:

مُطلَّبٌ بتِرَاتٍ غيرُ مُدرَكَةٍ محسَّدٌ والفتى ذو اللبِّ مَحسودُ

ومن كل ما مر، يتضح جليا شعوره الفائق بأنه مبغوض محسود من الآخرين، وشعوره المفرط بالقوة والتفوق والتميز، وحرصه الدائم على التحقير من شأن خصومه، وجميعها صفات الشخص النرجسي.

٨- الطموح المبالغ فيه

إن من أبرز الصفات التي يتميز بها العظماء، طموحهم المبالغ فيه، وعلو همتهم وتطلعهم الدائم نحو تحقيق المجد؛ مما يجعل حياتهم سلسلة من الهموم المتصلة، فهم منقادون لطموحاتهم، يحركهم أملهم في تحقيق أهدافهم، بل يصرون على تحقيق الأفضل في حياتهم، ويوضح كرينبرج

---

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٢١٥.
(٢) المصدر السابق، ص٢١٥.

أن أصحاب الشخصية النرجسية يمتلكون القدرة على العمل المستمر، وقد يكونوا ناجحين تماما في أعمالهم، وإنتاجهم في خدمة الاستعراض. [١]

لقد كان المتوكل يهتم لنفسه وبنفسه غاية الاهتمام، حتى أنه يرصد كل شعور سلبي يمر به، ويحاول أن يوضحه لأصدقائه وخلانه، لينفي عن نفسه تهمة هي أبعد ما تكون عنه، إنه لا يرضى لنفسه الذل والخضوع، وإن حدث وزلت قدماه في هذا المرتع الوخم، ورضي بظلم الأعداء وبغضهم، وعاش تحت لوائهم حياة لا يرغبها، إلا أنه سرعان ما يتمالك أمر نفسه؛ فيشد أزرها ويقوي عزيمتها، ولا يتأخر عن نصرة الأخلاء بل إذا نادوه بلغ بفرسه غاية ما يكون الجهد، واقتحم معهم كل أزمة ومعركة جسورا جريئا لا يهاب الموت ولا يخاف العدو؛ وما ذلك إلا لجرأته وعلو همته وتطلعه نحو تحقيق الآمال والطموحات، يقول على نغم الطويل[٢]:

خَليليّ لو كنتُ امرَءًا في سَقْطَةٍ تَضَعْضَعْتُ أو زَلّتْ بيّ القَدَمَانِ
أعيشُ على بُغضِ العِداةِ ورُغْمِهم وآتي الذي أهْوَى على الشَّنآنِ
ولكنَّنِي ثبتُ المريرةِ حازمٌ إذا صاحَ حُلَّابي ملأتُ عِنَانِي

وهو لا يهاب الموت في سبيل تحقيق ما يريد ويبتغي، إنه لعلو همته لابد منطلق إلى هدفه، لا يثنيه ولا يفل عزمه كثرة الإلحاح عليه في القعود عن تحقيق آماله، حتى وإن كانت تلك الآمال هي الظفر بمحبوبته، ومهما قال الواشون تخويفا له من الفشل أو الموت، فهو لا يلقي لهم بالا، ولا يصغي إليهم، فهو يؤمن أن كل شيء مقدر بوقت وأن الموت حوض كل الناس وارده؛ ومن ثم فهو لا يتراجع عن ما يريد تحقيقه، ولا

(١) الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٣٧.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص١٩٩.

يرضى بأقل من أحد الأقصيين، إما الانتصار أو الموت، يقول على نغم البسيط[١]:

لمَّا رَأتْ أنَّني لابدَّ مُنْطلِقٌ وللفتّى أجلٌ قدْ خُطَّ معدُودُ
قامَتْ تُكرِّهُنِي غَزْوى وتُخبِرُنِي أنْ سَوفَ يُخَلِّدُني رَوْعٌ وتَبْليدُ
هلِ المَنِّيةُ إلا طالبٌ ظَفَر وحَوْضُها مَنْهَلٌ لابد مَوْرُودُ

وهو في طريقه لتحقيق أهدافه وإحراز المجد والسؤدد، لا يعتمد على حسبه ونسبه، ولا يرضيه أن يكون كل مكاسبه وانتصاراته في الحياة هو انتسابه لقبيلته، إنه يعتمد على نفسه يرافقه في طريقه قوته وذكاؤه وعلو همته وحزمه وشجاعته وإصراره على بلوغ مراده، يقول على نغم الكامل[٢]:

لسنَا وإنْ أحسَابُنا كَرُمَتْ ممنْ علَى الأَحسابِ يَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كانت أوائِلُنا تبنِي ونَفْعَل مثلمَا فَعَلُوا

ورغم إلحاحه على الفخر بأجداده وقبيلته، إلا أنه يؤكد عدم ركونه إلى هذا النسب، وأنه لا يرضيه أن تكون كل سيرته وأثره في الدنيا هو فقط نسبه وحسبه، وإنما يريد أن يسطر بمجهوده في صفحات سيرته مجدا يستحق الفخر به، يقول عبر أثير الوافر[٣]:

ولستُ بقانعٍ منْ كلِّ فضلٍ بأنْ أُعزَى إلى جَدٍ هُمَامِ

وهكذا، كان المتوكل مفطورا على كبر النفس وعلو الهمة، لا ينطفيء طموحه، ولا يفتر عزمه عن تحقيق الأمجاد، يبالغ في الاعتزاز بذاته؛

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٢١٢.
(٢) المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٣) نفس المصدر، ص٢٦٧.

فيتجه بنفسه صعودا في آفاق العظمة متخذا من شعره سببا من أسباب سماوات المجد .

٩- تمجيد قوته وتضخيمها

تعد القوة من الصفات البارزة في شخصية المتوكل الليثي، ومن ثم ظهر أثرها في شعره، فهو قوي في شتى أحواله وفي كل مكان يذهب إليه، يسعى دائما لنفي الضعف عن نفسه وإظهار قوته، إنه قوي في الفعل، وقوي في القول أيضا، حتى إذا ما كان طرفا في خصومة، فهو يستطيع مقارعة الحجة بالحجة ودحض الرأي بالرأي، يتفوق بمنطقه السليم وقوله الحكيم على جميع خصومه، يقول ممتطيا صهوة الكامل[١]:

بل ربَّ معْتَرِضٍ رددتُ جماحَهُ في رأسِهِ فأقرَّ وهو لئيمُ
أغْضَي علَى حدِّ القَذَى إذْ جِئْتُه وبأنْفِهِ مِمّا أقولُ وُسومُ
أنضَجتُ كَيَّتَهُ فظلَّ مُنَكَّسًا وَسطَ النَّدى كأنهُ مَأمُومُ

وهو لشدة قوته كأنه لم يخلق ظهره ليكون موضعا للسياط والجلد مثل ما خلقت ظهور بقية البشر، ولا حتى في الحدود؛ فكأنه عدو وخصم لحدود الله فلا تطبق عليه، يقول على نغم الكامل[٢]:

ما كانَ ظَهرِي للسياطِ مَظَنَّةً زَمنًا كأنّي للحُدُودِ غَرِيمُ

كما أنه قوي في الحرب، إذا خاض غمارها فهو مهيب الركن مخيف للأعداء، يعد لهم العدة، ولا تقتصر قوته عليه فقط، بل تتعداه إلى ناقته

(١) ديوان المتوكل الليثي، ص٨٤.
(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

التي يستخدمها في الحرب والانتصار على الأعداء، يقول عبر ترانيم الوافر[١]:

ولكنِّي إذا حَارَبْتُ قومًا عَبَّأتُ لهم مُذَكَّرةٌ عِقَامَا

"إن الدافع الذي يؤدي دورا بارزا في نمو وتطور الشخصية هو السعي الحثيث للحصول على المزيد من القوة تحت تأثير الشعور بالدونية فيسعى الفرد لتعويض ضعف قواه"[٢]

وكذلك كان المتوكل الليثي، يسعى دائما للحصول على مزيد من القوة، أو التظاهر بها وإثباتها لنفسه، تعويضا عما يشعر به من الدونية وضعف قواه المسبب عن فقره ورقة حاله في طفولته.

ويرى أدلر أنه عندما تزداد مشاعر الدونيَّة، وتصل إلى درجة أن الفرد لن يستطيع التغلب على نقاط ضعفه؛ فإن خطرا جديدًا يظهر؛ فعندما يسعى الفرد للتعويض فإنه لن يقتنع باستعادة التوازن بين القُوَى التي يكتسبها، والقوَى المُضَادة لَه في البيئة المحيطة، بل إنه سيسعى لأن تميل كفة الميزان بشدة لصالحه طوال الوقت، ومِنْ الحَالات المتطرفة: السعي للحصول على القوة والسيطرة، الذي قد يصل إلى درجة مبالغ فيها؛ حتى إنه يجوز لنا أن نسميها حالات مرضية Philological Cases، إن مثل هذا الفرد المصاب بحاجة مرضية شديدة تتطلب منه دائمًا الحصول على المزيد من القوة Power Drive Pathetical ، وهى صورة من صُور النرجسية؛ حيث يحاول المرء _دائمًا_ تأمين

(١) ديوان المتوكل الليثي ، ص١٢٤.
(٢) الطبيعة البشرية، ص١٦٧.

وضعه في الحياة من خلال بذل جهود غير عادية، ويتميز هذا الفرد بالغرور والفخر والرغبة في النيل من الجميع بأي ثمن. [١]

لقد سعى المتوكل لتحصيل القوة، وسعى لإثباتها لنفسه؛ فهي عنده غاية يروم الوصول إليها والتزود منها، ووسيلة يتوسل بها إلى إرهاب خصومه ويدفع بها ظنون الناس بضعفه، ويدحض بها ما يعتريه من علل نفسية مسببة عن شعوره بالضعف والدونية؛ ومن ثم فقد ظهرت نرجسيته واضحة جلية في سلوكياته وأشعاره.

١٠- قسوة القلب وتبلد المشاعر

إن الضغوط النفسية والمجتمعية والبيئية التي يتعرض لها الشخص في طفولته لا يتوقف تأثيرها على جعل الشخص نرجسيا يبالغ في تعظيم نفسه وتضخيم أناه، ولا ينقطع أثرها عند كبريائه واستعلائه وتحقيره للخصوم، بل قد تحوله إلى شخص عدواني قاسي القلب والطبع، متبلد المشاعر، يتلذذ برؤية القتلى والدماء، ولا يتوقف عن مخاصمة الناس ومناصبتهم العداء، وهذا بدوره نوع من النرجسية؛ ف (الجرح النرجسي) يعني المساس بأعمق جوانب الذات، والنيل من التقدير الذاتي، وهو يحدث آلاما معنوية شديدة، ويفجر القلق، هذا فضلا عن أنه يولد عدوانية، صريحة أو ضمنية، تجاه العوامل التي أدت إليه[٢]، ويظهر تأثيره في "بعض السلوكيات، كالتقييم الإيجابي المبالغ فيه للذات، والطموح الزائد والثقة المفرطة في المقدرة العقلية، وأخيلة النجاح والشعور بالقوة

(١) أنظر: الطبيعة البشرية، ألفريد أدلر، ص٨٥-٨٦.
(٢) راجع: التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د/ مصطفى حجازي، ط٩، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م، ص٢٤٣.

المطلقة، والاستعراض ولفت الأنظار والإفراط في الانشغال بالذات سعيا وراء الإشباع السريع"[١]

وعند النظر في شعر المتوكل الليثي تطالعنا_ أحيانا_ شخصية قاسية عنيفة، تتحدث بعدائية بالغة وتضمر الشر والحقد، فهو يصرح بأنه يشمت بالأعداء إن أصابهم الشر ووقعت بهم المصائب، ولكثرة ما يُظهر لهم من كراهية وحقد؛ أصبحوا يهابونه ويتقون شر مواجهته، كالذي يرجع القهقرى مخافة هجوم أسد شرس كريه الوجه وهو يدنو منه، يقول على نغم الطويل[٢]:

تشمَّتُ للأعداءِ حينَ بدا لهُم منَ الشَّرِ دانِي الوَبْلِ ذو نَفَيَانِ
فهَابُوا وِقَاعِي كالذِي هَابَ حَاذِرا شَتِيمُ المُحيَّا خُطْوَه مُتَدانِي

كما يصرح أن عدوانيته لا تخفى على أحد غريبا كان أو قريبا، فهو كما يعلم بني عمومته شديد البأس خشن الطبع قاسي القلب، بل هو سيئ الخلق يدفع كل من يحاول معاداته أو النيل منه، يقول على نغم الطويل[٣]:

بنِي عَمِّنا إنَّا كما قدْ عَلِمْتُم أولو خُشْنَةٍ مخشِيَّة وزِبَانِ

ثم يعترف المتوكل بأنه عدواني صعب المراس سيئ الخلق؛ ولذلك فإن كل من يحاول أن يقترب منه أو يجرب منازلته؛ فإنه يكره مصاحبته ومنازلته لعدوانيته وقسوة قلبه، يقول عبر ترانيم الطويل[٤]:

---

(١)راجع: نظرية التحليل النفسي في العصاب، أوتو فينخل، ترجمة صلاح مخيمر، عبد ميخائيل رزق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٥٩، الشخصية النرجسية، دراسة في ضوء التحليل النفسي، ص٤٦.
(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٠١.
(٣) المصدر السابق، ص١٩٦.
(٤) نفس المصدر، ص١٩٨.

فمنَّ ومنَّاهم رجالٌ رأيتُهُم إذا ضَارَسُونِي يكرهُونَ قِرانِي

إن قسوة القلب والعدوانية أمر متأصل في نفس المتوكل حتى إنه يتحدث عن تقطيع الرؤوس وتمزيقها إلى أعشار بسلامة نفس ورحابة صدر، يقول على نغم الكامل[١]:

ويَجِيئُكم قومٌ كأنَّ سُيُوفَهم بأكُفِّهم تحتَ العَجَاجَةِ نارُ

لا يَنْثَنونَ إذا همو لاقَوكُمُ إلَّا وهَامُ كُماتِكُم أعشارُ

والمتوكل دائما يستعذب الحديث عن الحرب ومشاهد التقطيع والتقتيل، فهو يصف قوة قومه وصبرهم في ميدان القتال، وهذا أمر طبعي في مقام الفخر، أما وصف ما يكون من أطراف مبتورة متناثرة في كل مكان، ورؤوس مقطوعة أو مشقوقة، وأشلاء مبعثرة، فهذا مبالغة من الشاعر في وصف العنف والتمثيل بجثث الأعداء؛ إرهابا لهم، فهذا يعني أنه يطيب له رؤية رؤوس الأعداء وهي تتناثر في كل مكان، وهذا بلا شك يحمل النفس على الاشمئزاز والازدراء، يقول عبر أثير البسيط[٢]:

قومِي إذا ما لَقَوا أعداءَهم صَبَروا واسْتَوردُوهُم كما يُستَوردُ العُودُ

تَرى نوادرَ أطرافٍ بمَزحَفِهِم والهامُ بيْنَهمُ مُذرَىً ومَقْدُودُ

إن تعطشه لرؤية القتلى ووصف أشلائهم المبتورة ورؤوسهم المشقوقة بكل هذه الطمأنينة؛ جاءته من طبعه العدائي الحاد، ومن عنفه وقسوة قلبه؛ وليس ذلك إلا لأنه يكره الناس، ويرى علاقته معهم دائما كالحرب، وهو لابد منتصر فيها؛ وما ذلك إلا صورة من صور النرجسية.

---

(١) نفسه، ص٢٥٦.

(٢) ديوان المتوكل الليثي، ص٢٢٣.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في شعر المتوكل الليثي، يمكننا الوقوف على بعض النتائج التي يمكن إفادتها منه، وهي:

- تعرف النرجسية بأنها شعور الفرد بالعظمة، ومبالغته في الاعتداد بالذات والتضخيم المفرط للنفس والآباء والأجداد.
- تعد النرجسية من العلل النفسية التي تدخل في تكوين كل فرد لكن بمقدار يختلف عن غيره تبعا لما يتعرض له من عوامل نفسية وبيئية؛ حيث توجد درجات من حب الذات أو النرجسية لدى جميع الأجناس البشرية؛ فكل فرد منا لديه مكونات نرجسية في شخصيته، وهذا ما يسمى بالنرجسية الصحية
- تكون النرجسية أكثر وضوحا في الكتاب والمبدعين خاصة الشعراء وليس ذلك إلا لأنهم أكثر قدرة من غيرهم على التعبير عن مكنونات أنفسهم وقدرتهم هذه على التعبير وتجويد الكلام تغريهم بإظهار هذا الاعتزاز بالنفس والكبرياء، ولا يشترط أن يكون ذلك من حقائق نفوسهم، بل لأن الكلام يواتيهم فلا يقدرون على دفعه.
- سيطرت النرجسية على شخصية المتوكل الليثي، وظهر أثرها في اضطرابه وتناقضه، وإحساسه المبالغ فيه بالعظمة وأهمية الذات، والتعالي على الآخرين وسرعة الانفعال المؤدي إلى التحقير من الناس والتقليل منهم، والشعور الدائم بالتفرد والتميز والسعي إلى الاستحواذ على اهتمام الآخرين وجذب انتباههم، وعدم القدرة على السيطرة على الانفعالات المصاحبة للشعور بعدم التقدير من الآخرين.

- ترجع أسباب نرجسية المتوكل الليثي إلى تأثره بأحوال عصره وبيئته، وعوامل اجتماعية تتمثل في وضاعة نسبه وفقره وتجاهل الآخرين له وشعوره الدائم بالاضطهاد.
- من خلال شعر المتوكل الليثي وسيرته، أمكن رصد أعراض نرجسيته، والتي يمكن حصرها في عشرة أعراض، هي: المكابرة بالذات، التعالي والاستكبار، الأنا المتعالية، الإعلان الدائم عن الذات، الشعور بالحسد، تحقير الخصوم، تمجيد القوة، الطموح المبالغ فيه، الفخر بشعره، قسوة القلب وتبلد المشاعر.

المصادر والمراجع

- استبيان الشخصية، عبد الرقيب أحمد البحيري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- الأغاني، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق د/ إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.
- تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، د/عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط٤، أبريل ١٩٨١.
- تاريخ الطبري،محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٦١م.
- التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د/ مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٩، ٢٠٠٥م
- ثلاث مقالات في نظرية الجنس، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمود علي، مراجعة مصطفى زيور، ط دار المعارف ١٩٦٣م.
- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ط بولاق، ٣٩٩هـ.
- خصام ونقد، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.
- دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ديوان المتنبي، ط اليازجي، بيروت، لبنان.
- ديوان المتوكل الليثي، د/ يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، جمع وتحقيق مطابع التعاونية اللبنانية، لبنان(درعون-حريصا)، ١٩٧١م.

- الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، د/ عبد الرقيب أحمد البحيري، دار المعارف، ط١، ١٩٨٧م.
- شعر المتوكل الليثي موضوعاته وسماته الفنية، محمد بن عبد العزيز المطرفي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.
- الطبيعة البشرية، ألفريد آدلر، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٥م.
- على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب، أحمد عتمان، مجلة فصول، الأدب المقارن، العدد٤، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سبتمبر ١٩٨٣م.
- لباب الألباب، لأسامة بن منقذ، تحقيق أحمد شاكر، ط دار الجيل، ١٩٩٦م.
- ما فوق مبدأ اللذة، سيجموند فرويد، ترجمة الدكتور إسحاق رمزي، دار المعارف، ط٥.
- مع المتنبي، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، ١٩٨٦م.
- معجم الشعراء، أبو عبيد عبد الله المرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، ط الحلبي، ١٩٦٠هـ.
- معنى الحياة، ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

- ملامح النرجسية في شعر أبي العلاء المعري في ضوء نظرية أوتو كرينبرغ ، د/ محمد حسن أمرائي، فصلية إضاءات نقدية، السنة الحادية عشر، العدد الحادي والأربعون، آذار ٢٠٢١م.
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم بن بشر الآمدي، تحقيق ف.كرنكو، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- نظرية التحليل النفسي في العصاب، أوتو فينخل، ترجمة صلاح مخيمر، عبد ميخائيل رزق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.